جامعة المنصورة
كليـة الآداب

الخلافات الفكرية في الكنيسة الكاثوليكية في الربع الاول من القرن الخامس الميلادي

إعـــداد
د/ كريم عبدالغني عبدالعاطي
مدرس التاريخ الوسيط – قسم التاريخ
كلية الآداب– جامعة المنصورة

مجـلة كلـية الآداب – جامعـة المنصـورة
العدد الحادى والسبعون – أغسطس ٢٠٢٢

الخلافات الفكرية في الكنيسة الكاثوليكية في الربع الاول من القرن الخامس الميلادي

د/ كريم عبدالغني عبدالعاطي

مدرس التاريخ الوسيط – قسم التاريخ

كلية الآداب– جامعة المنصورة

ملخص البحث

مع بداية القرن الخامس كان مجتمع روما قد حسم الكثير من القضايا الشائكة و ذلك بفضل مجموعة من اعظم مفكري المسيحية اللاتينية مثل امبروز و جيروم و اوغسطين. و في نفس الوقت كان لبعض المفكرين مثل بيلاجيوس أراء اختلف الكثيرون بشانها و شكلت مذهبا يعتمد على الاعتقاد الكامل فى حرية الارادة البشرية في الاختيار بين الخير و الشر. و ان البشر يمكن لهم الوفاء بالاوامر الالهية دون الاعتماد على النعمة الالهية. و انه لا يوجد ما يسمى بالخطيئة الاصلية. و تم عقد مجموعة من المجامع الدينية للنظر في اراء بيلاجيوس ولكن الأمر لم يحسم بشكل نهائي الا في مجمع افيسوس المسكوني سنة ٤٣١ حيث تم ادانة البيلاجية و تحريمها.

الكلمات المفتاحية: *بيلاجيوس، أوغسطين، جيروم، النعمة الالهية، الخطيئة الأولى، معمودية الأطفال، الارادة الحرة*

Abstract:

By the beginning of the fifth century, the society of Rome had resolved many thorny issues, thanks to a group of the greatest thinkers of Latin Christianity, such as Ambrose, Jerome and Augustine. At the same time, some thinkers, such as Pelagius, had differing opinions about them and formed a doctrine based on the complete belief in the freedom of human will to choose between good and evil. And that humans can fulfill divine commands without relying on divine grace. Augustine was the most prominent opponent of these views. A group of religious councils were convened to consider the opinions of Pelagius, but the matter was not finally settled until the Ecumenical Council of Ephesus in the year 431.

مقدمـــة:

كانت مدينة روما مقصداً لأصحاب الطموح للمفكرين الطموحين ، فقد توافدوا إليها بحثا عن النجاح والشهرة، والمكاسب الأدبية والمعنوية .وإذا كان رجال اللاهوت فى الشرق اليونانى قد قاموا بصياغة الأطر الرئيسية للديانة المسيحية ووضع التفسيرات والشروح اللازمة عليها منذ أن بدأ أوريجين السكندرى فى وضع كتابه نصوص المعرفة، وهى ترجمة للكتاب المقدس. وإذا كانت القرون الأولى للمسيحية تكاد تخلو من ذكر أصحاب الفكر المسيحى فى الغرب فإنه بقرب نهاية القرن الرابع الميلادى بدأ يظهر فى روما مجموعة من المفكرين والفلاسفة واللاهوتيين الذين صار لهم الفضل فى صياغة المذهب الكاثوليكى الغربى وأسهموا فى رفع شأن الكنسية وتحديد العلاقة بين الدين والدولة . وصارت انجازاتهم تسترعى الانتباه.

وأعظم من كان لهم تأثير على مستقبل الكنيسة هم المعلمون الثلاثة الذين كانوا أبناء عصر واحد ، بالإضافة إلى من واكبهم من المفكرين الذين تركوا علامات بارزة فى تاريخ الكنيسة الغربية .

كان مجتمع روما مجتمعا ارستقراطيا يعتلى فيه رجال الأرستقراطية عضوية مجلس السناتو ويتولون الوظائف العليا المهمة . ولكن يجب الأخذ فى الإعتبار أن المجتمع فى روما كانت تغلب عليه الوثنية ، ومازال الوثنيون يمثلون جزءا كبيراً من الطبقة الأرستقراطية العليا التى شغلت قمة الوظائف الحكومية.

كانت روما تعيش مرحلة فارقة فى تاريخها نتيجة للمتغيرات السريعة والمتنوعة، والصراع بين الماضى والحاضر بإشكالياته. فلم تكن روما مجتمعا مسيحياً خالصا، فلازالت السيادة العددية للوثنيين، ولذلك كان الوثنيون فى مجلس السناتو متمسكين بل متفانين فى الدفاع عن كيانهم الزائل أمام الإجراءات الصارمة للحكومة الإمبراطورية المسيحية. بل أن الرومان المسيحيين كانوا يرون فى الديانة المسيحية ديانة غريبة وافدة ، وبدأت تنتشر داخل المجتمع الرومانى أفكار الزهد والتخلى عن مباهج الحياة وضروراتها.هذه الأفكار والممارسات جعلت المجتمع الرومانى فى روما مجتمعا مشوشاً ، خاصة إذا أضفنا إلى ذلك عدم الاستقرار السياسى وكثرة المغتصبين للسلطة وتهديد العناصر الجرمانية لأمن المواطن الرومانى.ومن ثم فإن مناقشة الخلاف الفكرى فى هذه الفترة يتطلب التعرف على طبيعة المتغيرات والمستجدات التى دخلت على المجتمع الرومانى وخاصة السلطة الروحية الفائقة التى مارسها كبار رجال الدين .

كان مجتمع روما راعيا للفنون والآداب أى أنه كان مجتمعاً متفتحاً، يقدم الدعم والرعاية، والحماية أحياناً لأصحاب الفكر، وكان يتم ذلك فى نطاق دوائر ثقافية أو علمية ، ليس لها نظام معين أو بروتوكول . وفى كثير من الأحيان كانت تقدم الرعاية والمساندة دون معرفة سابقة أو دون أن تكون هناك علاقات شخصية .

وبطبيعة الحال كانت الحلقة تدور حول إحدى الشخصيات ذات المكانة فى المجتمع سواء كانت مكانة سياسية أو مكانة علمية أو وظيفية أو أصحاب الشأن الإجتماعى من أفراد الأرستقراطية الذين كانوا أقوياء بسبب إتساع ممتلكاتهم ومولدهم النبيل والأرستقراطية الوظيفية بسب خدمتهم الجيدة ونفوذهم فى البلاط [١] .

وإذا كانت روما لم تعد المركز السياسى والعسكرى إلا أنها بقيت مقراً للسناتو، ولكن طبيعة المجلس قد تغيرت ، وإن لم يعد يقرر شيئاً، كان الإمبراطور هو الذى يقرر كل شيئ.[٢] ومن ثم فلم يعد السناتو يدعى بأنه مركز إتخاذ القرار ولكنه لم يكن أيضا مجرد مجلس مدنى. [٣]

وكان أبرز أعضاء مجلس السناتو هو الخطيب الرومانى الوثنى الشهير سيماخوس المتحدث بإسم مجلس السناتو. [٤]

وفى نفس الوقت الذى تضخمت فيه مكانة سيماخوس فى مجلس الشيوخ ، كانت

([1])Arnaldo Marcone " Late Roman Social Relation" CAH,Vol.13,p.341;P.R.L.Prown, "Aspects of the Christianization of the Roman Aristocracy ", JRS,Vol.51,P.1.

([2])Peter heather, " Senators and senates", CAH,Vol.13,P.198;Micael Grant, From Rome to Byzantium (London,1998), pp.1-3.

([3]) Marcone,Late Roman Social Relations, p,354.

(٤) كان سيماخوس Symmachius أحد أفراد العائلة الأرستقراطية القديمة فى سيماخى ، درس البلاغة فى غالة والتحق بالسلك السيناتورى، وفى سنة ٣٦٥ عمل كاهنا ، وتم إرساله فى سنة ٣٦٩ إلى غالة ممثلا للإمبراطور فالنتيان الأول . وتم مكافأته فى سنة ٣٧٣ وصار بروقنصل أفريقيا ، ثم عاد إلى روما سنة ٣٧٦.

Mattew Bunson, encyclopedia pof The Roman Empire, (USA,2002), p.518.

هناك شخصية أخرى تشق طريقها بنجاح ملفت للنظر، وهى شخصية أمبروز Ambrose . [٥] الذى كان له تأثيراً كبيراً على مستقبل الكنيسة بتمسكه بإصرار على استقرار الكنيسة وسمو السلطة الروحية على السلطة الدنيوية فى الأمور المتعلقة بالعقيدة والأخلاق. [٦]

وهكذا فقد تكونت زعامتين إحداهما دينية متمثلة فى أمبروز أسقف ميلان الذى صار مدافعا عن المسيحية وحقوق المسيحيين بقوة وصرامة . والثانية هى زعامة دبلوماسية يحتلها سيماخوس السيناتور البارز والمدافع والمطالب بعودة الحقوق الوثنية.وصار كل منهما يمثل دائرة قائمة بذاتها ومركزاً من مراكز القوى الموجودة فى النصف الغربى من الإمبراطورية الرومانية. وعلى الرغم من إختلاف مواقعهما والقضايا التى دافعا عنها إلا أنهما استطاعا أن يعملا معاً بطريقة متحضرة . [٧]

وفى أواخر القرن الرابع توافد على روما الكثير من العلماء والمفكرين واللاهوتيين ، ومن أبرزهم جيروم وأوغسطين وبيلاجيوس وروفينوس الأكويلى وغيرهم. وربما كان جيروم أسبقهم فى الوصول إلى مدينة روما للدراسة والعمل حيث وصلها وهو فى سن الثانية عشر . وفيها تولدت الصداقة بينه وبين روفينوس ، ولم يتم تعميد جيروم إلا فى سن الثامنة عشـــر فـــى مدينة روما. [٨] بعد ذلك استقر جيروم فترة فى الشرق ، وفى أنطاكية تم تنصيبه قسيساً بدون واجبات رعوية . [٩] وفى سنة ٣٧٧ تم استدعاءه إلى روما ليعمل سكرتيراً للبابا دماسوس . [١٠] ثم قضى الفترة من سنة ٣٨٠ حتى سنة ٣٨٢ مبعوثاً باباوياً فى القسطنطينية . [١١] ثم عاد إلى روما وبصحبته بولينوس الأنطاكى وأبيفانوس البلاسى لحضور مجمع دينى دعا إليه أمبروز أسقف ميلان ، وعندما وصل المشاركون الشرقيون إلى روما ، كانت تصاحبهم العائلات الأرستقراطية السيناتورية المسيحية ، وحل أبيفانوس ضيفاً على الأرملة الشابة بولا Paula التى كانت مثل قريبتها مارسيلا قد حولت منزلها إلى دار للراهبات . [١٢]

---

(٥) ولد أمبروز (٣٤٠-٣٩٧) لأسرة سيناتورية رومانية وبعد أن تعلم تعليما ممتازاً ترقى بسرعة إلى رتبة حاكم إقليم ، وعندما أدى موت اسقف ميلان إلى إثارة النزاع حول اختيار خليفة له، تدخل أمبروز للحفاظ على الأمن . وبناء على طلب الجماهير التى كانت محتشدة داخل الكنيسة ، تم تعيينه فى منصب الأسقف.

Philip Schaff, Ambrose : Selected works, and letters, (Grand Rapids, 2004), p.12;Roberts.Hoyt and slanley Chodrow, Europe in the Middle Ages(USA,1976), p.49.

(6) Hoyt and Chadrow,Europe in the Middle Ages pp.39,49.

(7) Marcone, Late Roman Social Relations, p.355.

(8) Stefan Rebeich, Jerome,(London,2002), p.2.

(9) Grant, From Rome to Byzantium, p.67.

(10) Andrew Cain, The Letters of Jerome (Oxford 2009), p.45; Marcia L.Colish, Medieval foundations of the western Intellectual Tradition,(London1998) , p.22;Rebeich, Jerome, p.15.

(١١) أمضى جيروم الفترة التى قضاها فى القسطنطينية فى الدراسة والتأليف ، حيث كان مهتما بدراسة الكتاب المقدس من واقع كتابات أوريجين السكندرى وترجم منها إلى اللاتينية مجموعة من المواعظ عن أرميا وحزيقال واشعيا ونشيد الإنشاد وبحثين عن رؤيا أشعيا ، وكان يقول بأن أوريجين هو أعظم معلم فى الكنيسة منذ عهد الرسل.

Henry Chadwick,The Church in Ancient Society, (Oxford,2001), pp.433,434; F.X.Murphy " St.Jerome" NCE,Vol.1. p.758.

(12) Cain, The Letters of Jerome, P.37; Rebeich, Jerome,p.15.

جدير بالذكر أنه قبل أن يصل جيروم إلى روما فى سنة ٣٨٢ كعالم وواعظ وصديق للبابا، كانت مجموعة من النساء المتميزات طبقيا تتطلعن إلى حياة الزهد والكمال ، وواجهن عداء الرأى العام المسيحى ، وكانت القوة الدافعة لهذه الحركة الجديدة هى مثال الراهب المصرى أنطون الذى عاش راهباً معتزلاً فى الصحراء منذ عام ٢٨٦ ، وكانت سيرة هذا الراهب قد دونها أثاناسيوس أسقف الإسكندرية الذى قضى عدة سنوات منفياً فى روما للمرة الثانية سنة ٣٤٠ وبتاثير اثاناسيوس بدأت تنتشر أفكار الزهد والترهبن فقررت الأرملة مارسيلا Marcella إحدى سيدات الطبقة الأرستقراطية أن تنذر نفسها لحياة العزوبة وأعمال الخير فى المدينة ، ومن ثم فقد تجمع حول مارسيلا دائرة خاصة من النساء المسيحيات [١٣] . كما قرر مجموعة من الرجال والنساء أن يعيشوا وفقا لمعايير التفوق هذه ، ومن ثم فقد كانوا فى حاجة دائمة إلى النصحاء والمرشدين من أساتذة الأدب إلى آباء الاعتراف ، وأخذوا هؤلاء المرشدين من المثقفين فى الولايات [١٤].

ان انقسام المجتمع الرومانى فى روما بين عائلاته الأرستقراطية يعد حقيقة من حقائق الحياة الرومانية المتأخرة . وأن تأثيرهم إنما كان سمة ثابته للحياة اللاهوتية فى روما حتى القرن السادس ، لكنها وصلت إلى ذروتها فى أواخر القرن الرابع ، لأن حركة الزهد قد اقتصرت على عائلات معينة، عاش أبطالها فى قصورهم الخاصة أو فى الضياع القريبة من المدينة . ومن ثم فإن أكثر المناطق إضطراباً فى النشاط اللاهوتى بالمدينة كانت تقع تحت أسطح قصور النبلاء [١٥]. وقد أدى التقدم الذى أحدثته حركة الزهد فى العائلات العريقة إلى قيام أمبروز اسقف ميلان بتأليف جماعة لتشجيع وإرشاد هؤلاء اللاتى انتوين التحول إلى حياة الزهد . كما كتب رسالة عن العذرية مليئة بالنصائح للعذارى المسيحيات ، وتحتوى على ملاحظات من واقع خبرته وخبرة أخته مارسيلينا [١٦] التى كرست نفسها لحياة الزهد والتنسك [١٧].

ومن أشهر سيدات المجتمع الرومانى اللائى مارسن حياة الزهد هى ميلانيا الكبيرة ، التى ولدت وعاشت فى أسبانياحتى وفاة زوجها وطفليها الإثنين فى نفس العام ، فقررت المجئ إلى روما صحبة إبنها الوحيد الباقى ، وكانت ميلانيا ثرية جداً فقد ورثت من أسرتها وأسرة زوجها أملاكا طائلة فى إيطاليا وفى الأقاليم، وكان من المفترض أن تتزوج مرة أخرى فقد كانت فى مقتبل العمر إذا كانت تبلغ اثنين وعشرين عاما ، ولكنها قدرت أن تعهد برعاية ابنها إلى والى المدينة والانخراط فى حياة الزهد

(13) John R.Curran, Pagan Ciy and Christian Capital, (Oxford,2000)PP.2,9; Rebeich, Jerome, PP.15,16.

(14) Peter Brown, " Pelagius And His Supporters : Aims and Environment "JTS,Vol. 19, No.1,P.97.

(15) Peter Brown," The Patrons of Pelagius : The Roman Aristacracy Between East and West ",JTS,Vol,21,No.1,PP.57,58.

(16) Curran , Pagan City, p.377.

(17) Rebeich,Jerome, p 15.

[١٨]. ومن أشهر العذارى اللائى قررن حياة العذرية والتصوف استوخيوم Eustochium وكانت مثل أختها بولا Poula مغالية فى حياة الزهد والتقشف [١٩].

فتح البابا دماسوس الباب أمام جيروم للتعرف عى السيدات النبيلات اللائى مارسن العفة فى منازل عائلاتهن. وخلال فترة قصيرة صار جيروم مركزا لدائرة متنسكه من النساء تضم مارسيلا واسيلا وليا وبولا وأخواتها بليسيلا واستوخيوم [٢٠]. وكان دماسوس ناجحا فى إقامة الاتصالات مع السيدات المسيحيات الثريات ، حتى أن معارضيه أطلقوا عليه لقب المصغى للنساء [٢١]. وبالفعل فقد حاز جيروم على إعجاب وثقة مارسيلا وبولا وصديقاتهن حتى أنهم أبقوه مرشدا روحيا لهن [٢٢]. فعندما التقى جيروم أولاً بهؤلاء النسوة كانوا قد اكتفوا بالانسحاب إلى الضواحى والى حيث يمكنهن القيام بأمور زهدهن الأرستقراطى المتمثل فى دراسة الكتاب المقدس والقيام بأعمال الخير، ولم يكن بإمكانهن الذهاب إلى الصحراء. ولكن كان بمقدور جيروم أن يحضر الصحراء إليهن [٢٣]. فماذا فعل جيروم لجذب انتباه السيدات المحترمات ، أولاً كان قادراً على تحويل المفهوم الزهدى فى الشرق إلى لغة جميلة وجذابة، ويتضح ذلك فى رسالته الحفاظ على العذرية الذى وجهه إلى استوخيوم، وامتدح العذراء كعروس للمسيح [٢٤]. وصار جيروم مشهورا بإنه خبير فى الشئون الروحية للسيدات[٢٥].

ويبدو أن جيروم لم تكن لديه الموارد المالية الكافية الأمر الذى جعله يعتمد على الرعاة الموسرين لتلبية متطلبات حياته .ومن ثم فقد دخل فى رعاية تلك الأرامل الأرستقراطيات[٢٦]. كما كان البابا دماسوس نفسه يقوم برعايته وحمايته [٢٧]. ومن ثم فقد دخل معظم المفكرين المسيحيين ورجال الدين فى تنافس مع الجماعات المسيحية الأخرى للحصول على الدعم الأيدولوجى والمادى الذى تمنحه الصفوة المسيحية فى روما [٢٨]. وهكذا تكونت فى روما دوائر الزهد النسائية الأرستقراطية كنوع من أعمال الزهد وحياة الكمال التى ينشدونها . وفى نفس الوقت يقمن بإعالة ورعاية من يلجأ إلى بيوت العزلة من النساء . كما قاموا بتقديم الرعاية والحماية إلى رجال الدين والمفكرين الذين لهم نفس الميول وأفكار الزهد وحياة التقوى .استجدت هذه الدوائر بالإضافة إلى الدوائر القائمة فعلا سواء الدينية أو العلمية أو غيرهما .

([18]) Curran , Pagan City, pp.272,273.
([19])Curran , Pagan City, p.275.
([20])Rebeich,Jerome, p 16.
([21])Rebeich,Jerome, p 17.
([22])Cain,The Letters of Jerome, p.41.
([23])Cain,The Letters of Jerome, p.41.

([24]) Rebeich, Jerome, p.16.
([25])Cain,The Letters of Jerome, p.163.
([26])Cain,The Letters of Jerome, p.2.
كان جيروم يخاطب العذراءاستوخيوم بلقب السيد ، وهذا فى مراسلاته معها يعنى الاعتراف بدور استوخيوم فى رعايتها له.
Megan Hale Williams, The Monk and the Book, (London,2006), p.53.
([27])Rebeich, Jerome, p.17.
([28])Rebeich, Jerome, p.17.

ويعد أوغسطين [٢٩]. أعظم الآباء اللاتين وواحدا من أكثر الشخصيات سحرا فى التاريخ ، كما أنه كان واحدا من أعظم المؤثرين فيه [٣٠] . وصل أوغسطين إلى روما فى سنة ٣٨٣. وان البعض يرى أنه جاء إلى روما بحثا عن مستقبل أفضل إلا أن أوغسطين نفسه يقول أن ذلك لم يكن السبب الرئيسى إنما السبب الأول أو بالأحرى الأوحد هو أن الطلاب فى روما وفقا لما سمع عنهم أكثر انضباطا وهدوءاً من زملائهم فى أى بلد آخر[٣١] . وبوصول أوغسطين إلى روما التقاه المانويون وقدموا له الرعاية، ومنهم من استضافة فى بيته طوال فترة المرض الذى ألم به وفى أيام نقاهته [٣٢] .

كان أوغسطين يبحث عن طريق الهداية، ولما فقد إيمانه بالمانوية اتجه نحو الفلسفة يقول أوغسطين أنه اعتقد بأن الفلاسفة المعروفين بالأكاديميين أو المحفليين يفوقون حكمة سواهم ، إذ يقولون بأن الشك بكل شئ واجب [٣٣] . وهكذا وجد أغسطين نفسه مزعزع الوجدان ، دائم التردد، بل أنه ضاق بالعمل الذى جاء من أجله إلى روما .وسنحت له الفرصة عندما طلبت مدينة ميلان من والى روما أستاذا للخطابة . وهنا يظهر تأثير الدوائر الوثنية التى كان يتزعمها سيماخوس العضو البارز فى مجلس الشيوخ والذى كان حاكما لروما آنذاك، فمن خلال الدائرة المانوية حصل أوغسطين على تزكية إلى الوالى سيماخوس، الذى قام بدوره بتزكيته لتولى المنصب وهكذا بفضل نفوذ سيماخوس صار أوغطسين فى خريف ٣٨٤ استاذا للبلاغة فى ميلان مقر الإمبراطور فالنتيان الثانى [٣٤].

كان سيماخوس حريصاً على تقديم العون والرعاية خاصة إلى أبناء الولايات القادمين إلى روما، فقد ترك حوالى ثمانمائة رسالة تظهر معنى الرعاية الفعلى فى ذلك الوقت . فعلى سبيل المثال قام سيماخوس بكتابة خطابات توصية وتزكية إلى رجلين من رجال الأقاليم لم يكن له بهما أية معرفة، لأنه كان سعيداً بأن يكتب لصالح أى شخص قادم من ولاية أفريقيا [٣٥] .

لم تقتصر أعمال دائرة سيماخوس على تقديم التزكيات والتوصيات والرعاية للمتميزين، ولكن بصفته كان زعيما للأغلبية الوثنية سواء فى مجلس السناتو أو فى المجتمع الرومانى فى

([٢٩]) ولد أوغسطين فى ١٣ نوفمبر سنة ٣٥٤ فى مدينة تاجستا فى شمال أفريقيا لأبوين كانت الأم مونيكا مسيحية والأب باتريكيوس وثنيا. تلقى تعليمه الأولى فى تاجستا وبعد ذلك فى مدينة ماديورا المجاورة ، وأخيرا انتقل إلى مدينة قرطاج الساحلية للحصول على التعليم الأعلى .

Henry Chadwick, Augustine of Hippo (Oxford,2009), p.21.

ووطد والده علاقته بصديقه رومانيانوس للحصول على المال اللازم للإنفاق على تعليم أوغسطين . وبعد أن أتم دراسته عمل معلما للبلاغة فى قرطاج.

James J.D'Donnell, Augustine, (Harper Collinse-Book), p.89.

([30]) Hoyt and Chadrow,Europe in the Middle, Ages, p.51.

([٣١]) أوغسطين ، اعترافات القديس أوغسطين ، ترجمة الخورى يوحنا الحلو ، (بيروت ١٩٩١)، ص ٨٧.

([٣٢]) اعترافات القديس أوغسطين ، ص٩١.

([٣٣])اعترافات القديس أوغسطين ، ص٩١، ٩٢.

([٣٤])اعترافات القديس أوغسطين ، ص٩٤.

Chadwick,Augustine o Hippo,PP.16,17; O'Donnell,Augustine, p.89.

([35])O'Donnell,Augustine, p.90.

مدينة روما ، فقد كان عليه القيام ببعض الأعمال الأخرى التى يغلب عليها الطابع السياسى لأنه إذا كان السناتو وثنيا فإن الحكومة الإمبراطورية كانت مسيحية ، وتعمل للقضاء على المظاهر الوثنية الباقية . كما كان سيماخوس قويا بأصدقائه الذين وصلوا إلى أعلى المناصب في البلاط والإدارة العامة [٣٦].

أما المشكلة التى أحدثت صداما سلمياً مهذباً بين الدوائر الدينية المسيحية والدوائر الوثنية فقد تمثلت فى التقاليد التى استمرت باقية فى الربع الأخير من القرن الرابع بوجود مذبح لآلهة النصر مع تمثال للإلهة نفسها بالقرب من مدخل السناتو فى روما [٣٧]. وفى نهاية عهد الإمبراطور قسطنطيوس أمر بإبعاده عن مدخل السناتو [٣٨] . ولم يستمر ذلك طويلاً فقد أعاد الإمبراطور جوليان المذبح إلى مدخل السناتو . وبفضل تأثير كل من أمبروز والبابا دماسوس على الإمبراطور جراتيان فقد اقنعاه بضرورة التخلص من مذبح النصر. فأصدر مرسوما بإزالة مذبح النصر ، وأضاف إلى ذلك مصادرة أموال الهبات التى كانت تقدم لعذارى الإلهة فستا Vesta، وكانت إزالة مذبح النصر هذه المرة هى المحور الذى دار من حوله الصراع بين زعماء الوثنية وآباء الكنسية [٣٩] والحقيقة أن مرسوم جراتيان قد ترك أثرا سيئاً فى نفوس أعضاء السناتو الوثنيين وغيرهم من أقطاب الوثنية فى روما ، فشكلوا وفداً برئاسة سيماخوس زعيم الأغلبية الوثنية لمقابلة جراتيان لإثنائه عن قراراه ، غير أن البابا دماسوس قاد مظاهرة مسيحية للضغط على الإمبراطور ، وبالفعل استجاب الامبراطور ورفض مقابلة سيماخوس ورفاقه [٤٠].

تغيرت الأوضاع فى ربيع سنة ٣٨٣ عندما أعلن ماجنوس مكسيموس قائد القوات الرومانية فى بريطانيا نفسه إمبراطوراً، وفى الخامس والعشرين من شهر أغسطس من نفس السنة تم اغتيال جراتيان فى مدينة ليون، وتم سيطرة مكسيموس على بلاد الغال، وتوقف فالنتيان الثانى عن تنفيذ سياسة أخيه ضد الوثنية ، إحساسا منه بأن الموقف المتوتر فى صالحهم. وفى أغسطس من العام التالى كلف السيناتو الوثنى السيناتور الوثنى والى روما ليلتمس من فالنتيان الثانى إعادة مذبح إلهة النصر [٤١] وكان سيماخوس ورفاقه قد رتبوا للتصويت فى مجلس

([36]) Heater, Senators and Senates, pp.194,195.

([٣٧]) كان الإمبراطور أوغسطس هو الذى أمر بوضع التمثال المجنح لربة النصر ومذبحها فى مبنى السناتو فى روما بعد انتصاره فى معركة اكتيوم.
Stephen Williams and Gerard Friel, Theodosius,(Taylor and Francise Library), p.40.

([38]) Schaff, Ambrose, pp.701,702; Rita Lizzi Tesa " The Late Antique Bishop" CLA,P.531; Boniface Ramsey, Ambrose,(New York,2002), pp.29,30.

([39]) Colish,Medieval Foundation, p.18.

([٤٠]) رأفت عبدالحميد، الدولة والكنسية ، ج٤(القاهرة ٢٠٠١) ص ١٢٧.

([41]) Shaff, Ambrose, Selected Works and Letters, p.701; Romsey, Ambrose, p.30; Danile H.Williams, Ambrose of Milan and the end of Arian Nicene Conflicts,(Oxford,2002), p.201;J.H.Wgliebeschuetz,Ambrose of Milan, Political Letters and Speeches,(Liver Pool,2010),P.64.

السناتو بطريقة تسمح لهم بالحصول على القرار لصالحهم [٤٢].

تعرض سيماخوس لأزمة شديدة كادت أن تكلفة حياته لأنه بعد دخول المغتصب مكسموس ايطاليا سنة ٣٨٧ ، كلفة مجلس السناتو بتقديم خطاب ترحيب ومديح إلى مكسيموس فى ميلان. وعندما أنتهى الأمر بإنتصار ثيودسيوس ومقتل مكسيموس ، فقد واجه سيماخوس خطر اتهامه بالخيانه، ولكنه استطاع أن يبرئ نفسه، ويقدم اعتذاراً عما حدث، واستطاع أن ينال الحظوة عند الإمبراطور الذى كافأه بمنصب القنصلية [٤٣]

وإذا كانت محاولات السناتو الوثنى من أجل إعادة مذبح النصر إلى مكانه المعتاد فى مبنى السناتو أو السماح بإعادة الهبات والإعانات المالية إلى عذارى فستا قد باءت بالفشل فإن الوثنيين وخاصة أعضاء مجلس السناتو منهم لم يتملكهم اليأس، وحاولوا من جديد مع الإمبراطور ثيودسيوس الذى تردد فى الاستجابة لمطالبهم .

ولكن عندما تدخل أمبروز تم حسم الموقف برفض الطلب[٤٤] ومع ذلك تم تكليف سيماخوس من جديد بسفارة إلى الإمبراطور فالنتيان الثانى سنة ٣٩٢ الذى كان موجوداً فى بلاد الغال للمطالبة بعودة المذبح ونفقات الاحتفالات[٤٥] ولكنهم لم يلتقوا الإمبراطور الذى تم اغتياله . وتم إعلان المغتصب ايجنيوس إمبراطوراً ، فتحول سيماخوس بسفارته إلى الإمبراطور الجديد الذى استجاب لمطالبه، وأمر بإعادة مذبح النصر إلى سابق مكانه فى السناتو[٤٦]. وفى هذه المرة اكتفى أمبروز بالكتابة إلى مغتصب السلطة فى عدم شرعية إعادة مذبح النصر، وترك ميلان حتى يتفادى لقاء الإمبراطور ايجنيوس[٤٧]. وقد اتخذ الإمبراطور ثيودسيوس من هذا الموقف ذريعة لإعلان الحرب المقدسة ضد ايجنيوس والوثنية [٤٨] وقام ثيودسيوس بعد الحاق الهزيمة بالمغتصب بإزالة المذبح من جديد [٤٩].

أبلى أمبروز بلاء حسنا فى الدفاع عن قضية تطهير مبنى السناتو من بقايا مظاهر الوثنية بما كان له من حظوة وتأثير على الإمبراطور جراتيان وأخيه فانتيان الثانى وكذلك الإمبراطور ثيودسوس، واستطاع أن يحبط كل مساعى الأرستقراطية الوثنية القوية فى روما. أما القضية الثانية التى كرس لها أمبروز جهوده فهى إيمانه باستقلالية الكنيسة وإقتناعه بأن الإمبراطور لا سلطان له على الكنيسة لأنها لله وحده [٥٠] .وذلك أنه حدث شغب فى مدينة

(42) Heather, Senators and Senates, p.199; Richard Lim," Christianization, Secularization, CTLA, 509.

(43) Heather, Senators and Senates,P.194; Williams, Ambrose of Milan,P. 87; Williams and Frlel, Theodsius, p.90.

(44) Williams and Friel, Theodsius, p.46; Ramsey, Ambrose, p.31.

(45) Ramsey,Ambrose, p.206.

(46)Williams and Friel, Theodsius, p.115.
رأفت عبدالحميد ،الدولة والكنيسة ، ج٤ ، ص ١٥٩.

(47) Wgliebeschuetz, Ambrose of Milan, p.255.

(48) Williams and Friel, Theodosius, p.116.

(49) Schaff, Ambrose, p.701.

(٥٠) رأفت عبدالحميد ، الدولة والكنيسة ، ج٤ ، ص ١٧٩.

سالونيك وقام الأهالى بقتل أحد الضباط، وما أن علم ثيودسيوس بهذه الأنباء حتى استبد به الغضب وأمر بإنزال العقاب بأهل المدينة .وتنفيذاً لهذا الأمر جمع قائد الحامية سكان المدينة داخل الهيبدروم وأمر رجاله بعقابهم . ونتج عن ذلك مذبحة رهيبة بلغ ضحاياها سبعة آلاف من سكان سالونيك [٥١] .

أثارت هذه الفجيعة حفيظة أمبروز وأعلن حرمان الإمبراطور من رحمة الكنيسة حتى يقوم بأداء الكفارة الواجبة ، وأرسل إليه رسالة . تأنيب شديدة اللهجة . على أية حال فقد أذعن الإمبراطور لمطالب أمبروز، ويقال أنه قضى كفاره لمدة ثمانية أشهر حتى سمح له أمبروز بالمشاركة فى الطقوس الكنسية [٥٢] . ويقال إنه عندما دخل ثيودسيوس الكنيسة ، أعلن أمبروز على الملأ بأن الإمبراطور داخل الكنيسة وليس فوقها لأنه فى أمور الدين والأخلاق فإن الكلمة لرجال الدين [٥٣] .

تشبه جيروم بالدور الذى لعبه القديس السكندرى فى الكنيسة الشرقية ، وصور نفسه على أنه أوريجين اللاتين ومثل مثله الأعلى فقد كتب فى الكثير من الموضوعات، وصارت تعليماته للحفاظ على العذرية مشهورة ، أو مشهودة بسوء السمعة حتى أنه يقال أن القراء الوثنيين كانوا يقومون بنسخها وتداولها [٥٤].

نجح جيروم إلى حد كبير فى مشروعة للترويج للحياة الديرية ، وقام بترجمة القانون الباخومى إلى اللغة اللاتينية [٥٥] .كما نجحت دعوته لحياه الزهد والتنسك بين الأرستقراطيين، وكان ينادى بأن حالة العذرية المقدسة هى أكثر القداسة الإنسانية مكانه بقوله أنه يمتدح الشرعية ويمتدح الزواج لأنهما يزودان المجتمع بالعذارى [٥٦] . وكانت استوخيوم من أشهر العذارى فى دائرة جيروم ، وقد كلفها بأن تجذب إليها العذارى المسيحيات المسئولات وليس ذلك النوع الذى يدعو إلى الزواج [٥٧] . وكان الترمل هو الدرجة الثانية للعفة عند جيروم. فقد وقف بشدة ضد الزواج الثانى للأرامل. وتعد الأرملة الشابة بلسيلا Belsilla من أشهر الأرامل فى دائرة جيروم. ولم يكتف جيروم بالدعوة للعذرية وحياة التنسك ولكنه كان أيضا مرشداً وموجهاً، فقد كتب إلى مارسيلا التى صارت المرشد الروحى لبلسيلا منزعجاً من مغالاتها بقوله إنها ترتدى ثيابا بسيطة وتأكل القليل من الطعام [٥٨].

أثارت دعوة جيروم للعذرية ومحاربة الزواج الثانى للأرامل إلى دخوله فى صدام مع هلفيديوس Helvidius أحد المفكرين الكنسيين

(51) Robert M.Frankes, "Butheric and Charioteer ",RPLA, pp.47,48; Colish, Medieval Foundations, p.18; Ramsey, Ambrose, p.32; Hoyt and Chodrow, Europe in the Middle Ages, p.39.

(52) Frankes,Butheric and Charioteer, p. 49,Ramsey,Ambrose, p.32.

(53) Hoyt and Chodrow, Europe in theMiddle Ages, p.49.

(54)Rebeich, Jerome, p.17.

(55) Hoyt and Chodrow, Europe in the Middle, Ages, p.50.

(56) Curran, Pagan City, p.275.

(57)Curran, Pagan City, p.288; Williams, The Monk and the Book, p.54.

(58) Cain, The Letters of Jerome, p .105; Curran,Pagan city, p.282.

الذى صرح بأنه لا يمكن أن يستصوب عذرية مارى . وهو بذلك يقوض أحد الدعائم اللاهوتية للورع والعفة المسيحية، وادعى بأن الزواج ليس أقل شأنا من العذرية فى عيون الرب [٥٩].

ترتب على الإستجابة لدعوة جيروم للعذرية وعدم الزواج مشاكل تتعلق بميراث العائلات السيناتورية والامتداد الأسرى الذى لا يتم إلا بالزواج [٦٠] . بالإضافة إلى ذلك كان جيروم حاداً سليط اللسان فى انتقاداته ، فقد هاجم حياة الترف التى تعيشها الأرامل الأرستقراطيات ودنيوية رجال الدين ونفاق الرهبان [٦١]. فضلاً عن صفات جيروم الخاصة فقد كان متباهياً فخوراً بإنجازاته، كما كان بارعاً فى اكتساب عداء الآخرين ، وطعن أصدقاءه السابقين فى ظهورهم كما كانت لديه الملكة فى أن يجعل من نفسه بغيضاً من الأخرين [٦٢]. وكان اعتماده على الأرامل الأرستقراطيات وصداقته معهم جعل الشكوك تحوم حوله بأنه إنتهازى فاسق [٦٣]. كل ذلك جعلة مكروها فى المجتمع . وفى سنة ٣٨٤ تسارعت الأحداث بشكل معاكس لمخططات جيروم، لأن الأرملة الشابة بلسيلا التى نصحها جيروم بأن تظل أرملة وأن تحيا حياة الزهد والتقشف قد إعتلت صحتها وتوفيت فى خلال بضعة شهور ، وثارت الإشاعات بأن الأرملة الشابة قد توفيت من أثر التقشف وطول الصيام [٦٤] وأوجدت شعوراً معادياً ضد جيروم ، واشتكى متهموه بان حياة الزهد قد قتلت المرأة الشابة ، وطالبوا بطرد كل من ساعد على ذلك من المدينة [٦٥] . وفى نفس العام توفى البابا دماسوس الذى كان يشمله بالحماية [٦٦]. كما ضاعت آماله فى الوصول إلى درجة أسقف[٦٧].وبذلك فقد تداعت آماله وكثر أعداؤه، وشعر بحرج شديد من الشائعات القائلة بأن علاقته مع راعيته الثرية لم تكن كما ينبغى أن تكون [٦٨]. ولذلك لم تعد روما مناسبة لإقامته. وفى صيف ٣٨٥ ترك روما متوجها إلى فلسطين ، ثم تبعته راعيته بولا وأختها استوخيوم، حيث لحقا به فى أنطاكية ورافقاه إلى بيت لحم[٦٩].

ثم كتب جيروم رسالة إلى مارسيلا يدعوها إلى ترك روما واللحاق بهم ، ولكن مارسيلا تجاهلت هذه الدعوة وقررت البقاء فى روما تحت تأثير رغبتها فى أن تظل على مسافة آمنه من جيروم [٧٠].

عندما وصل أوغسطين إلى ميلان ، كان أمبروز يحظ بشهرة كبيرة ، فواظب على الحضور إلى كنيسته والاستماع إلى عظاته التى

(59)Curran, Pagan City, p.294.
(60)Curran, Pagan City, p .277.
(61) Rebeich, Jerome, p.17; Murphy, St.Jerome, p.757;Hoyt and chodrow, Europe in the Middle Ago, p.51.
(62) Colish, Medieval Foundations, p.22.
(63) Cain, The Letters of Jerome, p.2

(64)Rebeich, Jerome, p.18; Colish,Medieval Foundations, p.23; O'Donnell, Augustine, p.268; Chadwick, The Church in Ancient , Socienty, p.435; Williams, The Monk and the Book, p.55.
(65) Curran, Pagan City, p.279.
(66) Williams, The Monk and the Book, p.63;Rebeich, Jerome, p.18;Murphy, St.Jerome, p.757.
(67)Rebeich, Jerome, p.17; Murphy, St.Jerome, p.758.
(68)O'Donnell, Augustine, p.268.
(69)Williams, The Monk and the Book, p.63.
(70) Cain, The Letters, of Jerome, pp.95-97.

يلقيها على المصلين ، للاستمتاع بفصاحته وبلاغته وليس إقتناعاً بحقيقة ما يقوله . وفى سعية للبحث عن الحقيقة بدأ يتخلى عن مذهب المانوية وكذلك عن مذهب الشك الذى طالما تمسك به سيراً على نهج معلمه شيشرون [٧١] ثم اتجه إلى دائرة الفلسفة الأفلاطونية التى كانت مدعومة من عضو مجلس الشيوخ المرموق مانليوس ثيودوروس Manlius Theodorus[٧٢].

عانى أوغسطين كثيرا فى البحث عن الحقيقة إلى أن جاءت اللحظة التى عبر عنها بقوله : أشرق فى قلبى شعاع طمأنينه بدد ماكان مستوليا على من دياجير الأوهام . [٧٣] اعتنق أوغسطين المسيحية فى سنة ٣٨٦ ولكن يقال أنه فى هذا التاريخ اعتنق مذهب الأفلاطونية الجديدة إلا أن المتفق عليه أنه تم تعميده هو وإبنه أديوداتوس وصديقه أليبوس فى سنة ٣٨٧[٧٤] وكان ذلك إنقلابا فى حياة أوغسطين بعد فترة طويلة من البحث والتأمل إلى أن اهتدى إلى الدين الصحيح ، وبعد ذلك قرر العودة إلى شمال أفريقيا.

كان بيلاجيوس Pelagius هو محور الخلاف الذى دار فى أوساط الكنيسة اللاتينية فى القرن الخامس ، ويسود الغموض تفاصيل حياته المهنية المبكرة قبل أن يعرف إسمه ويشتهر مع الموضوع البارز فى الجدل اللاهوتى . وقد اختلف المؤرخون ما إذا كان موطنه الأصلى بريطانيا أم ايرلندا [٧٥] . ولكن من المعروف جيدا أن معاصرى بيلاجيوس قد اعتادوا على وصفه بالبريطانى Brito . أما هؤلاء الذين يعتقدون بأنه من الاسكتلنديين .Scot فإنهم يقولون بأن كلمة بريطانى كلمة فضفاضة تشمل كل من جاء من الجزر حول بريطانيا ، وأن الاستخدام العام لهذه الكلمة يشمل الأسكتلنديين. وفى نفس الوقت فإذا كانت اسكتلندا هى موطن ميلاده فإنه يصعب أن نرى لماذا لم يتم وصفه بالأسكتلندى [٧٦]. وثمة رأى قائل بأن بيلاجيوس قد ولد فى بريطانيا وأن عائلته كانت تعيش هناك [٧٧] وفى المقابل نجد رأيا آخر يقول بأنه ليس بريطانيا ولكنه من بريتانى (بريطانيا الصغرى)[٧٨] . وأنه يمكن التوفيق بين هذه الآراء بأنه إذا كان بيلاجيوس بريطانى ومن عرق ايرلندى فإنه يجب الإفتراض بأن عائلته كانت تنتمى إلى المستعمرات الإيرلندية فى جنوب غرب بريطانيا [٧٩] ومع كثرة الإفتراضات والإحتمالات ، يصل أحد المؤرخين إلى الحقيقة القائلة بأنه بينما كان بيلاجيوس من

(٧١) جاريث ب ماثيوز، أوغسطين ، ترجمة احمد فؤاد زهوى ، (القاهرة ٢٠١٣) ص ٢٧ ، ٢٨.

(72) Chadwick., Augustine of Hippo, p.17.

(٧٣) اعترافات القديس أوغسطين ، ص١٦٦، على زيغور ، أوغسطينوس ، (بيروت ، ١٩٣٠) ص ١٣٢.

(٧٤) اعترافات القديس أوغسطين ، ص ١٧٧.

(75) J.B.Bury, " The Origin of Pelagius" HER,Vol.13,No.30, p.26;Henery Wace, A Dictionary of Christian Biography and Literature, (USA 1999, p.1303; G.F.Wiggers, Augustinism and Pelagianism,(New York 1840) p.41.

(76)Bury, Th Origin of Pelagius, pp.26,27.

(77)Bury, Th Origin of Pelagius, p. 34.

(78)Wiggers, Augustinism, p.41.

(79)Bury, Th Origin of Pelagius, p 33.

عائلة اسكتلندية إلا أنه كان مولوداً فى بريطانيا[٨٠].

وكما تم الإختلاف فى تحديد موطنه فقد اختلف المؤرخون أيضاً فى تحديد سنة مولده والسنة التى وصل فيها إلى روما. فيرى أحد المؤرخين أن بيلاجيوس ولد فى بريطانيا سنة ٣٥٤ تقريباً ووصل إلى روما سنة ٣٨٠[٨١] . ويقول آخر بأنه لاهوتى بريطانى رومانى ، ولد فى بريطانيا أو ايرلندا سنة ٣٦٠ ، وتوجه إلى روما سنة ٣٨٤[٨٢]. وثمة رآى يقول أنه جاء إلى روما فى بداية القرن الخامس [٨٣] ، وآخر يرى أنه ربما تمت ولادته حوالى سنة ٣٧٠ وجاء إلى روما فى وقت مبكر جداً من القرن الخامس [٨٤] ولكن المرجح أنه وصل إلى روما فى ثمانينات القرن الرابع .

تلقى بيلاجيوس تدريباً قوياً فى الدراسات الإغريقية واللاتينية ، وحقق معرفة جيدة بالكتاب المقدس وأعمال اللاهوتيين اليونانيين واللاتين [٨٥] ومن المؤكد أنه كان راهباً ، ومن ثم فقد كان علمانيا كما جميع الرهبان فى ذلك الوقت ، ولكنه لم يكن منتمياً إلى أى مجتمع أو نظام رهبانى . ويوصف بأنه كان رجلاً محترماً ونزيهاً حسن المظهر وعلى خلق كريم، صاحب إرادة قوية و مبادئ سامية ، نال احترام معارضيه [٨٦].

وفى روما وجد بيلاجيوس أن الجميع حتى رجال الدين فاسدون للغاية وان المسيحية النقية تزداد تدهوراً ، فقد تحولت إلى سلسلة من الإحتفالات الخرافية وموضوعا للتهكن والجدل بين المتعلمين [٨٧]. ومن ثم فقد عمل بيلاجيوس فى روما من أجل غرض أخلاقى قوى ونادى بتطبيق الأخلاق المسيحية الصارمة ضد تراخى مستوى الحياة المترفة ، فقد كانت لديه الرغبة فى أن يكون مصلحاً أخلاقياً [٨٨] واستطاع أن ينفذ إلى دوائر الأسر الأرستقراطية الذين ينشدون حياة الفضيلة والزهد خاصة النساء من الأرامل والعذارى، وفتحت أمامه أبواب قصور الأرستقراطيين مثل عائلة انتشى Anicii[٨٩] وضمت معارفه أيضاً بولينوس النولاوى Paulinus of Nola [٩٠]. وأصبح مرشداً روحيا وعضوا بارزاً فى حركة اصلاحية

([80])Bury, Th Origin of Pelagius, p 34.
([81]) S.J.Mckenna " Pelgius and Pelagianism", NCE,Vol.11, p.61.
([82]) Bernard Culine " Pelagius (ca360-418) .DMA,9, p.486.
([83]) Wiggers, Augustinism, p.41.
([84])Wace, Christian Biography, p.1306.
([85]) Mckenna, Pelagius, p.61;Culine, Pelagius, p.486.

([86])Wiggers,Augustinism,pp.41,42;Cain,The Letters of Jerome, p.139;Wace,Christian Biography, p.1306.
([87])Wiggers, Augustinism, p.42.
([88]) Stuart Squires,The Pelagians Controversy,(Pickwick Publication 2019). p.183; B.R.Rees, Pelagius : Life and Letters, (The Boydel Press 1991), p.3;Wace, Christian Biography, p.1306.
([89]) Henry Chadwick, Orthodoxy and Heresy,CAH,Vol,13,P.591;Brown, Pelagius and his Supp[orters, P.95;Rees, Pelagius, p.16.
([90]) Brown, The Patrons of Pelagius, p.60.
بولينوس أسقف نولا (٤٠٩-٤٣١) رجل من رجال الأدب ولد فى بوردو فى فرنسا سنة ٣٥٣ من أسرة ثرية ذو مكانة رفيعة تمتد ممتلكاتها فى فرنسا وأسبانيا وإيطايا . تم تعميده فى بوردو سنة ٣٨٩، ثم اتبع مذهب الزهد وانفق أمواله على الفقراء.
M.P.Conningham," Paulinusof Nola",NCE,11, pp.38,39.

وصار يرتبط إرتباطا وثيقا بالطبقة الأرستقراطية ، وقام بالوعظ ضد الأخلاق والقيم الوثنية التى تسللت إلى الكنيسة من خلال تسهيل عملية التحول من الوثنية إلى المسيحية ، ودعا إلى الحياة المسيحية الأصيلة لبلوغ الكمال المسيحى [٩١] . وعلى الرغم من أنه لم يكن قسيسا فقد صار مرشداً روحياً عالى القدر لكل من العلمانيين ورجال الدين . وكان أتباعه قليلون ولكن مؤثرون [٩٢] ولم يكن بيلاجيوس يريد أن يكون المرء زاهدا خارج الكنيسة بل أراد أن تصبح الكنيسة نفسها زاهدة، بمعنى أن تعيش الكنيسة كلها حياة الرهبان النسكية ، ولكن ذلك قد يكون أمرا غير واقعى فى كنيسة الجماهير ، إلا أنه يتوافق مع كنيسة الأقلية [٩٣] . ومن ثم سعت البيلاجية إلى النزعة المركزية لأرستقراطية روما وهى النزعة إلى التشتت لتشكيل نطاق لمجموعات صغيرة ، كل منها تسعى لأن تكون نخبة متميزة ، كل منها حريصة على التفوق على جيرانها ومنافسيها بين جموع الطبقة الأرستقراطية فى روما [٩٤].

وهكذا كانت كتابات بيلاجوس وأتباعه هى أهم إنجازات الأدب الرومانى المتأخر فى السعى واسع النطاق لخلق نخبة أرستقراطية وفق معايير الكمال التى ينادى بها لإلزام النبلاء بالإنضباط الشديد للأسر الأرستقراطية[٩٥] ومن الواضح فى هذه الفترة المبكرة من حياة بيلاجيوس العملية فى روما أنه كانت له إتصالات مع كل من المسيحيين الزاهدين الذين يعيشون فى عزلتهم ، فى روما وضواحيها ومع السيدات الدنيويات المتزوجات، الأمر الذى أثار غيرة وحقد أحد المتنافسين الذى أشار فى أحد خطاباته إلى أحد الشباب ويقصد به بيلاجيوس بأنه يحب زيارة خلوات الأرامل والعذارى، وأن يحاضرهم بحاجبيه المعقودتين عن الأدب المقدس، إنه شاب وراهب وفى عينيه بريق. ومن ثم فإن جيروم يندهش لأنه بلا خجل يتردد على بيوت النبلاء ويقوم بزيارات متعددة للسيدات المتزوجات ، جاعلا ديانتنا عرضه للجدل [٩٦]. وكان جيروم عند مغادرته روما مشغولا على مستقبل دائرة نساء الأفنتين Aventine الذى يعتبرهم تلاميذه بشكل حصرى ، لأنه كان يعلم أنه بمغادرته روما فان منافسيه الروحيين وربما أيضا الدراسين فى الكتاب المقدس وبعض رجال السلك الكنسى سيحاولون التودد والتزلف لتلك النسوة . وبصفته كان مرشدا لهن فقد كان يخشى أن يأتى أى أحد ليحل محله [٩٧].

استقر جيروم وروفينوس فى فلسطين وغادر أوغسطين للاستقرار فى شمال أفريقيا وبقى بيلاجيوس فى روما يمارس نشاطه. ولم يكن معنى ذلك أنه لم تكن هناك قنوات اتصال

(91) Roger D.Haight,"Notes on the Pelagian Controversy" PHS,Vol.22,No.1/2, p.29.
(92) Mckenna,Pelagius, p.61.
(93) Haight,Pelagian Controversy, pp.33,34; L.W.Barnbard,"Pelagius and Early Syriac Christianity",RTAM,Vol.35, p.193.
(94) Brown,Pelagius and his Supporters, p.98; John H.Beck, " The Pelagian Controversy : An Econamic Analysis ", (AJES),Vol.66,No.4.(Oct.,2007), p691.
(95)Brown,Pelagius and his Supporters, p.97.
(96) Curran,Pagan City, p.298.
(97) Cain,The Letters of Jerome, pp.90,91.

فيما بينهم ، فقد كان تداول الكتب فى الإمبراطورية الرومانية المتأخرة هو الأسلوب الذى يؤدى إلى الإتصال بين القراء والكتاب والرعاة شيئاً طبيعياً بل أمرا ضروريا ، فلم تكن تجارة الكتب تكفى إلا بصعوبة لتوفير نصوص الأدب الكلاسيكى المستخدمة فى التعليم. ومن ثم كان يتم تداول الكتب بطريقة خاصة بين هؤلاء الذين نالوا حظهم من التعليم ولديهم الوقت الكافى للقراءة والموارد المالية لنسخ النصوص.

وكان يتم تداول الكتب والرسائل بين الزملاء ومن يماثلهم بطرق لم يتوقعها مؤلفوها أو ينظموها. وكثيراً ما تم تداول هذه الكتب بدون عناوينها أو أسماء مؤلفيها أو من تم إهداؤها لهم، ولذلك كانت تقع فى أيدى قطاع عريض من الجمهور لم يكن الكاتب معنيا بتوجيه ذلك إليهم[٩٨].

كان جيروم يعمل كشارح للكتاب المقدس، يعتمد إلى حد كبير على الشروح اليونانية لأوريجين إلى أن التقى بأبيفانيوس أسقف سلامس سنة ٣٨٢ الذى شرح له خطورة معتقدات أوريجين الذى يمثل الآب للفكر الأريوسى وأنه تقع عليه مسئولية الأخطاء والتصورات غير الأرثوذكسية حول إمكانية خلاص الشيطان ، والخلاص العام لكل الأرواح[٩٩]. وأن الابن والروح القدس فى درجة الوهية أدنى من درجة الآب [١٠٠] . وأنه لا يوجد غير مخلوق سوى الله الآب[١٠١].

ويبدو أن جيروم ظل على ما يعتقده لأنه فى سنة ٣٩٥ قام ابيفانيوس بإرسال أحد القساوسة يدعى اترابيوس Atrabius لإثارة الدعاية المناهضة للأوريجينية وإقناع الأساقفة لإدانتها. واستقبله يوحنا أسقف بيت المقدس وروفينوس استقبلاً سيئاً، وتم الترحيب به فى بيت لحم[١٠٢] وبعد أن كان جيروم من أشد المعجبين بأوريجين فإن إثارة الجدل حول أرثوذكسيته جعله يتحول إلى خصم عنيد لتعاليم السكندرى [١٠٣] وتسبب هذا الموقف فى العداوة بينه وبين يوحنا أسقف بيت المقدس ومع روفينوس . وفى سنة ٣٩٧ وبتدخل من ثيوفيل أسقف الإسكندرية تم تهدئة الخلاف بينهم فيما يشبه الهدنة . ولكن الصلح لم يستمر واضطر روفينوس إلى مغادرة فلسطين والعودة إلى روما ومعه مجموعة من المخطوطات للكتاب الكنسيين اليونانيين[١٠٤] . وفى روما قام روفينوس بترجمة بعض أعمال أوريجين ومنها كتاب العناصر الأولى On First Principles وكان ذلك بهدف رد الإعتبار إلى أوريجين ، وقام بإدخال بعض التعديلات وطمس معالم المفاهيم

(98) Williams, The Moink and the Book, pp.233.234.

(99) H.Crouzel," Origen and Origenism", NCE,Vol.10, p.659;Heidi Marx-Wolf," A Strange Consensus",RPLA,P.231;Rebeich, Jerome, P.49;Chadwick, Orthodoxy and Heresy, p.594.

(١٠٠) تـادروس يعقـوب ملطـى ، نظـرة شـاملة لعلـم البـاترولوجى فـى السـتة قـرون الأولـى (الاسـكندرية ٢٠٠٨)، ص٧٢.

(١٠١) ملطى ، البتاترولوجى ، ص ٧٤.

(102) M.Simonetti, "Rufinus of Aquileia",NCE,Vol.12, p.404.

(103) Rebeich, Jerome, p.49;Simanetti, Rufinus, p.404;Chadwich, Orthodoxy and Heresy, p.46; Murphy,St.Jerome, p.758.

(104) Simonetti, Rufinus, p.404;Rebeich, Jerome, p.46;Murphy, St.Jerome, p.758.

المذهبية المقحمة على النص [١٠٥] وفى مقدمة العمل أدعى بأنه قد تتبع خطى جيروم ومنهجه الذى استخدمه فى ترجمة بعض عظات أوريجين ، مستغلاً شهرة جيروم لتزكية أو ضمان للترويج للعمل [١٠٦].وتم إبلاغ جيروم بهذه المقدمة قبل نشر الكتاب. فكتب جيروم رسالة يحتج فيها على روفينوس، ولكن أصدقاء جيروم فى إيطاليا لم يسلموا الرسالة إلى روفينوس، وبدلا من ذلك قاموا بالدعاية والترويج لهجوم جيروم العنيف على روفينوس [١٠٧]. وصار كل جانب يسعى إلى كسب الحلفاء والمؤيدين. وكان روفينوس يأمل لبعض الوقت فى استمالة انستاسيوس أسقف روما إلى جانبه ، فكتب إليه رسالة قصيرة للدفاع عن موقفه، كذلك كتب يوحنا أسقف بيت المقدس إلى زميله الرومانى يناشده بأن يقوم بتقديم الدعم لروفينوس[١٠٨].

إشتدت الخصومة وأمتد نطاق الجدل بين الفريقين ، وكتب روفينوس رسالتين يهاجم فيهما جيروم ، أما جيروم فلكى يبرر أنه ضد الأوريجينية منذ البداية فقد أشار إلى شروحه وتعليقاته على أهل افيسوس كبيان لإظهار موقفه الحقيقى من الأوريجينية . وأخذ روفينوس كلماته واقتبس عدة فقرات من تعليقاته على أهل أفيسوس ليبرهن على أن جيروم قد اتبع أوريجين فى مذهبه فى مسألة الوجود المسبق للروح والعودة النهائية [١٠٩] . وقال جيروم أنه قد إمتدح أوريجين مرات قليلة فقط لتفسيره للكتاب المقدس وليس امتداحا لمذهبه. وقام روفينوس باقتباس عدد كبير من الفقرات التى يقوم فيها جيروم بمدح أوريجين دون تفرقه، ثم اتسع نطاق الجدل عندما قام روفينوس بالهجوم على شخص جيروم، يتهمه بأنه قد ترجم الكتاب المقدس من النصوص العبرية مباشرة [١١٠].

ورد جيروم برسالة لاذعة للغاية قائلا : كيف يمكنك أن تجرؤ على القول بأنك تتحدث كمسيحى تتظاهر بالحض على الفضيلة وتقول أشياء ضد نظيرك، لايكاد قاتل يقوله ضد لص، أو عاهرة ضد عاهرة ، أو مهرج ضد لاعب ، أنها مهزلة [١١١] . إذا كنت ترغب فى السلام ، الق سلاحك، يمكننى أن أكون فى سلام مع من يظهر اللطف ولا أخشى من يهددنى . وكان أوغسطين محقا فى استنتاجه بأن الجدل قد دمر صداقة استثنائية [١١٢].

يعد الخلاف بين روفينوس وجيروم حول إنتشار آراء أوريجين الذى بلغت ذروته فى سنة ٤٠٠ نقطة تحول فى ولاءات أكثر أعضاء الطبقة الأرستقراطية المسيحية نشاطاً ونفوذاً فى روما. وكان أنصار جيروم فى روما على علاقة وثيقة بالدوائر الدينية . وكان بإمكان مارسيلا وباماخيوس من أقطاب الأرستقراطية المسيحية أن يرتبا للحصول على إدانة للأوريجينية من

([105]) W.J.Sparrow-Simpson,The Letters of St.Augustine, (London,1919) p.227; Simonetti, Rufinus , p.404; Rebeich,Jerome, p.46.
([106]) Murphy, St.Jerome, p.758; Chadwick, The Curch in Ancient Society, p.439.
([107]) Simonetti, Rufinus, p.404.
([108]) Rebeich, St.Jerome, p.47.
([109]) Simonetti, Rufinus, p.405.
([110]) Simonetti, Rufinus, p.405.
([111]) Rebeich, St.Jerome, p.48.
([112]) Rebeich, St.Jerome, p.48.

البابا انستاسيوس وذلك لتفوقهما فى القوة والنفوذ على أنصار روفينوس [١١٣].

ولكن الموقف فى روما تغير تماما بوصول ميلانيا الكبيرة من الأراضى المقدسة ، فكانت قادرة على حماية روفينوس. وكان جيروم يشعر بالضجر والغضب من الضجيج الذى يحدثه أنصار ميلانيا وقريبها بولينوس للحيلولة بينه وبين روفينوس .وعندما عاد روفينوس إلى روما بعد فترة قضاها فى أكويليا كان بإمكانه أن يستقر دون مضايقة فى حاشية ميلانيا الكبيرة[١١٤]. لقد بلغ من عنف هذا الخلاف أن أوغسطين قد ورط نفسه إلى جانب فصيل روفينوس من خلال تحدى جيروم بشأن ترجمته للكتاب المقدس من اللغة العبرية، وقد وجدت انتقاداته طريقها إلى روما أولا وكانت تنشر كمنشور مجهول ضد جيروم [١١٥].

كان أول اتصال بين أوغسطين وجيروم فى سنة ٣٩٤ فى محاولة من أوغسطين للفت الأنظار والانتباه إليه. وتساءل عن مدى صواب مشروع جيروم واستفسر منه عن المعنى الحقيقى فى إحدى النقاط الحرجة فى تفسير الكتاب المقدس، والسؤال هو هل كان بطرس وبولس عندما كانا يتشاجران فى غلاطية بشأن الرسالة إلى الأمم يتجادلان حقا أم كان كل ذلك عرضا تعليميا [١١٦].

لم تجد الرسالة طريقها إلى بيت لحم. وتلقى جيروم الرسالة أخيراً بعد عدة سنوات. ومع ذلك كان يتم تداولها فى إيطاليا . لقد سمع عنها جيروم كمنشور ضد جيروم.وكتب جيروم معاتبا بل مؤنباً أوغسطين بقوله أنك لم تتصرف بصدق فى هذا الأمر ، كنت تبحث عن الثناء وتسعى إلى الشهرة ، أنك تحاول أن تجعل نفسك مشهوراً على حسابنا، تريد أن يعرف الكثير من الناس أنك تتحدانى وأنك تكتب مثل الباحث العالم وأنا أجلس هادئا مثل المبتدئ . إما أن ترسل لى نسخة من نفس الرسالة بتوقيعك أو تتوقف عن الهجوم [١١٧].

اتسعت دائرة بولينوس النولاوى ،وصارت تضم كبار اللاهوتيين ورجال الدين . وقد انضم إليها بيلاجيوس للإستفادة من الحماية والرعاية ، والمشاركة فى مصالح الدائرة التى يمكن تعريفها بدائرة اصدقاء روفينوس[١١٨] وفى نفس الوقت توطدت الصلة بين بولينوس وأوغسطين، حيث رأى أوغسطين أن هذه الدائرة هى النافذة التى يمكن أن يطل منها على ما يجرى فى روما [١١٩] . وأن بولينوس هو الوسيط الذى يحتاجه للترويج لكتبه وأفكاره، ومن ثم صار إسم أوغسطين وأعماله معروفة للأرستقراطية المسيحية فى إيطاليا [١٢٠] .وفى هذه الدائرة تعرف بيلاجيوس

([113]) Brown, The patrons of Pelagius, p.57.
([114])Brown, The patrons of Pelagius, p.58;Williams, The Monk and the Book, p.295.
([115])Brown, The patrons of Pelagius, p.58.
([116])Simpson, The Letters of St.Augustine, pp217,218; O'Donnell, Augustine, p.93.
([117])Simpson, The Letters of St.Augustine, pp224,225; O'Donnell, Augustine, p.94.
([118])Brown, The patrons of Pelagius, p.59.
([119]) Gillian R.Evans,"Neither A Pelagian Nor A Manichee,"VCH,Vol.35,No.3, p.235; Brown, The patrons of Pelagius, p.58.
([120]) O'Donnell, Augustine, p.97.

على أعمال أوغسطين ضد المانوية [١٢١] . كما شهدت الدائرة أيضا الظهور الأول لبيلاجيوس معارضا لكتابات وأفكار أوغسطين عندما أبدى أحد الأساقفة إعجابه بإقتباس من كتاب الإعترافات حيث يقول اوغسطين مبتهلا إلى الله" هب ما تأمر به وأمر بما تريد " فغضب بيلاجيوس غضباً شديداً ، فقد بدا له المعنى أنه يجعل من الإنسان مجرد دمية فى يد خالقة وأن مثل هذه العقيدة إنما هى لتعجيز الإنسان [١٢٢].

كان بيلاجيوس يناقش هل الخلاص هبة مجانية أم نعمة إلهية لا يدركها أى إنسان ، وهل هناك مبدأ للمكافأة على حياة الفضيلة وأعمال البر والأمور الوجدانية [١٢٣]. لأن النعمة فى مفهوم الكنيسية الغربية هى هبة من الله مجانية ، تعطى دون سبب لا لمن يستحقها بفضائله . والإنسان يعطى الفضائل عندما يتلقى النعمة[١٢٤].

لم ينكر البيلاجيون النعمة وأكدوا ذلك ، لكن النعمة فى مفهومهم كانت أولا وقبل كل شئ هى حرية الإنسان وقدرته التى وهبها الله له ليتمكن من الاختيار بين الخير والشر [١٢٥] . كما أن النعمة الآلهية بالنسبة لهم هى شئ خارجى مثل الإرادة الحرة نفسها أو أوامر وتعاليم العهدين القديم والجديد ، وأن الغرض منها مجرد تسهيل ما يمكن أن تفعله الإرادة بنفسها، وأنها غالبا تعطى بما يتناسب مع فضائلها [١٢٦] ، وأن القيمة المركزية الكامنة وراء موقف بيلاجيوس هى حرية الإنسان وقوته فى تقرير المصير واستقلاليته، بمعنى أنه يجب أن يصبح المسيحى البالغ إبنا لله أى وريثا متحرراً مسئولاً بلغة العائلة الرومانية [١٢٧]. كما يقول بيلاجيوس بأن النعمة ضرورية بعد وقوع الخطيئة وليس قبلها ،بينما يقول أوغسطين أنه بحكم تجربته الشخصية كان يعرف الناموس ولكنه لم يستطع الاهتداء إليه إلا بالنعمة [١٢٨] ، وهذا النقاش حول حرية الإرادة والنعمة الإلهية كان يتعلق أساسا بمشكلة الخطيئة الأصلية [١٢٩] لأن الإرادة الحرة لا تتأثر بالحمل السابق للخطيئة الأصلية أو الفضل الإلهى [١٣٠] . ويتكون المغزى اللاهوتى البيلاجى لهذه العقيدة بأنه لا يوجد شئ إسمه الخطيئة الأصلية طالما أن الخطيئة دائما شئ يخص الفرد وليس الطبيعة البشرية لتنتقل من آدم إلى ذريته. ومن ثم فإنه ليس من العدل أن يعاقب

(121) Evans, Neither A Pelagian, p.235;Brown,The Patrons of Pelagius, p.59.

(122) Wace, Christian Biography, p.1306;Chadwic,Orthodoxy and Heresy, p. 588; O'Donnell, Augustine, p.97; Wiggers,Augustinism, p.44;Rees, Pelagius, p.1.

(123)Chadwic,Orthodoxy and Heresy, p.588.

(١٢٤) زيغور ، أوغسطينوس ، ص ٢٠٤، ج.ولتر ، الهرطقة فى المسيحية (بيروت ٢٠٠٧)ص٩٩.

(125) John Henry Blunt, editor,Dictionary of Sects,(London,1814), p.418; Haight, Pelagian Controversy, p.30;Mckenna,Pelagius, p.61.

(126) Mckenna, Pelagius, p.61.

(127)Haight, Pelagian Controversy, p.31.

(١٢٨) زيغور ، أوغسطينوس ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٥.

(١٢٩) الإيمان بالخطيئة الأصلية أحد القضايا الأساسية للمسيحية ، وينص الإيمان بالخطيئة الأصلية على أن البشرية كلها مسئولة عن خطيئة آدم وحواء والتى تسمى أيضا سقوط الإنسان ، وتستخدم هذه الخاصيه لشرح ميل البشرية لارتكاب الخطايا . أما الكنيسة الشرقية فإنها تجادل بأن مصطلح الخطيئة الأصلية لا يظهر فى أى مكان فى الكتاب المقدس ، وأن البشر ليسوا مسئولين بشكل مباشر عن خطيئة أدم.
Michael C.Thomsett, Heresy in the Roman Catholic Church.(USA 2011) p.45.

(130)Culine, Pelagius, p.486.

الجنس البشرى كله بسبب تجاوزات آدم [١٣١] . وأن الموت ليس عقوبة للخطيئة ولكنه ضرورة حتمية للطبيعة البشرية . وأن الجنس البشرى لا يتحمل الموت الروحى مع خطيئة آدم ، كما أنه لا يتم فداؤه بموت المسيح وقيامته ، فقد كان هناك رجال بلا خطيئة قبل مجئ المسيح [١٣٢] . وحيث أن الكل قد ولد بلا خطيئة ، فإن معمودية الأطفال عديمة الجدوى وأن الأطفال الذين يموتون بدون طقس التعميد يذهبون مباشرة إلى السماء [١٣٣] . وأن الصلاة من أجل تحول الخطاة إنماهى عبث لا جدوى من ورائه ، حيث أن الإرادة الحرة وحدها هى التى تجعل الإنسان خيرا. وأن النعمة غالبا ما تمنح بما يتناسب مع فضائل الإنسان [١٣٤] .

ويظهر بشكل واضح فى اللاهوت البيلاجى قضية العدالة . بأن يحاكم البشر دون محاباة لأحد ولكن وفقا لإنجازاتهم أو فشلهم فى طاعة القانون الإلهى. وفى بعض أقوالهم المثيرة أنهم يستنكرون بأن مراعاة الأوامر الإلهية أمر مستحيل، لأنه لكى تعاقب البشر على أخطاء لا يسعهم إلا إرتكابها، يتعارض ذلك مع مفهوم العدالة . فإذا أخطأ الرجال فلأنهم قد منحوا الحرية كاملة فى الإرادة لاختيار إما الخير أو الشر وأن أى شرط آخر يعنى المحسوبية الإلهية، وتفضيل البعض فى مساعدتهم على طاعة القانون ، وإصدار حكم آخر على الآخرين بالعقاب. ولكن بينما قدرة الله تجعله يتصرف بهذه الطريقة فإن عدالته ورحمته لا تسمح بذلك[١٣٥] . وأن المبادئ التى تحكم العدالة الإلهية تنطبق بالتأكيد على العدالة البشرية ، وهذا فى الواقع افتراض معقول بأن لاهوت بيلاجيوس كان نتيجة لكراهيته العاطفية لكل شكل من أشكال المحسوبية من جانب البشر [١٣٦] .

ويقال أن الخوف المرعب الذى تملك بيلاجيوس من عقائد المانوية والغنوصية جعله يقف معارضا بشدة لتلك العقائد. ومن كراهيته لمذهب ميراث الخطيئة فى الجنس البشــرى ، أدى إلى وقوعه فى خطأ إنكار ضرورة النعمة[١٣٧] ولذلك كان يتم وصف البيلاجيين بأنهم أعداء النعمة[١٣٨] . وكثيراً ما كان يوصف أتباع بيلاجيوس بأنهم هدايا عديمة القيمة بسبب موقفهم من عقدية النعمة الإلهية [١٣٩] .

ويبدوا أن البيلاجيين كان لهم ما يشبه البرنامج الاجتماعى متمثلا فى إعادة توزيع

(131)Mckenna, Pelagius, p.61; Haight, Pelagian controversy, p.30; Dictionary of Sects, pp.418,420.

(132)Culine, Pelagius, p.486.

(133)Mckenna, Pelagius, p.61; Culine, Pelagius, p.,486.

ترى الكنيسة أنه بدون معمودية لن يدخل أحد إلى ملكوت السماء ويؤكد ذلك القديس جيروم بأن مثل هؤلاء الأطفال لا يمكن أن يطلق عليهم قديسين بأى معنى من شأنه أن يؤهلهم للخلاص ، مالم يتم تعميدهم.

W.Wall, The History of Infant Baptism Vol,1 (London, 1814), p.274.

(134)Culine, Pelagius, p.486; Mckenna, Pelagius, p.61.

(135) W.Liebesehuetz, " Did the Pelagian Movement Have Social Aims" ,HZG,Bd-12,H-2, p.236.

(136) Liebesehuet, Social Aims, p.236.

(137) Philip Schaff, The Seven Ecumenical Councils, (Edinburgh), p.364.

(138) Liebesehuetz,Social Aims, p.,234.

(139) Liebesehuyetz,Social Aims, p.234.

الثروة والممتلكات [١٤٠] . وهذا يعنى أن الأغنياء الذين يؤمنون بالأفكار البيلاجية عليهم أن يتخلوا عن ممتلكاتهم .وقد استطاع بيلاجيوس وأتباعه بسب تفوقهم وأمن موقعهم الطبقى من القيام بالتبشير ضد الثروة وشرورها [١٤١] . بل وصل الأمر بالجماعات البيلاجية فى صقلية أن اعتبرت الثروة المتراكمة عادة سيئة ، تراكمت من الأفعال الشريرة فى الماضى الوثنى ، ومن ثم يمكن أن يتجاهلها المسيحيون [١٤٢] .

وفى روما تعرف بيلاجيوس على كالستيوس Caelestius وهوشاب أرستقراطى، إرتبط إرتباطاً وثيقا معه فى الجدل الذى ثار حول مبادئه ، وكان كالستيوس فى البداية محامياً ، وقاده بيلاجيوس للإنخراط فى حياة دينية صارمة ، وسرعان ما أصبح داعيا متحمسا لآراء أستاذه بيلاجيوس [١٤٣] .

إنتشرت آراء بيلاجيوس فى روما بشكل هادئ . وبمنتصف العشر الأوائل من القرن الخامس كان لبيلاجيوس مجموعة من المؤلفات تضم مقال عن العذرية Devirginitate وكتاب عن الطبيعة De Natura ، وشروح وتعليقات على رسائل القديس بولس [١٤٤] .

تغيرت الأحوال فى روما وتأزم الموقف السياسى فى الفترة ما بين ٤٠٨-٤١٠ على إثر تهديد القوط الغربيين بدخول مدينة روما . وهنا تباينت ردود أفعال أبناء الطبقة الأرستقراطية، فقد قامت ميلانيا الصغيرة وزوجها بينيان ببيع ممتلكاتهما فى روما لتقديم المساعدات للمحتاجين أثناء فترة المعاناة [١٤٥] . وعندما اشتدت الأزمة فإن العناصر التى آثرت البقاء فى روما قد ازدادت معاناتها خاصة أثناء نهب روما فى أغسطس ٤١٠، كما تعرضت باقى بيوت العائلات العريقة مثل عائلة مارسيلا على تل الأفنتين إلى إعتداءات جماعات القوط الباحثة عن الذهب ، وتم ضرب مارسيلا بقسوة أدت إلى وفاتها بعد ذلك بقليل [١٤٦] . ومثل عدد آخر من نبلاء روما هربت ميلانيا الصغيرة وزوجها بنيان وأمها ألبينا وجدتها ميلانيا الكبيرة وروفينوس وبعض أفراد من عائلة أنتشى وغيرهم إلى شمال أفريقيا.

وتوجهت ميلانيا ورفقتها إلى هيبو حيث توجد ممتلكات العائلة [١٤٧] . كما اتخذ بيلاجيوس وكالستيوس طريقهما إلى صقلية ومنها إلى شمال أفريقيا حيث قام بيلاجيوس بزيارة مدينة هيبو التى كان أوغسطين متغيبا عنها [١٤٨] .

(140) Brown, Pelagius and his supporters, pp.102,105;Liebesehuetz, Social Aims, p.239.
(141) Cain,The Letters of Jerome, pp.145,146; Brown, Pelagius and his Supporters, p.102; Liebesehuetz,Social Aims, p.,239.
(142)Brown, Pelagius and his supporters, p 105.
(143) Wiggers, Augustinism, p.44,Chadwick,The Church inAncient Society, p.451.
(144)Cain,The Letters of Jerome, p.165.

(145) Brown,Aspects of the Christianization, p.8.
(146) Curran, Pagan City, p.311;Williams,The Monk and the Book, p.298.
(147) Curran, Pagan City, p.311.
(148) J.H.Koopmans, " Augustine's First Contact with Pelagius and the Dating of the Condemnation of Caelestius at Carthage" VCH,Vol.8,No..3, p.150.

كتب بيلاجيوس بعد وصوله مباشرة رسالته الأولى إلى أوغسطين، الأسقف الذى دخل دائرة نفوذه فى هيبو .ويبدو أنها كانت مجرد رسالة مجاملة واطمئنان بوصوله ومن معه سالمين، وكذلك لكى يزيل أية دهشة عند أية لقاءات قد تحدث [١٤٩] . عموماً أعلن أوغسطين فى رده على الرسالة أنه كان يرغب فى مقابلة بيلاجيوس فى ذلك الوقت، وهذا يعنى أنه لم يكن يعرف عنه الكثير قبل وصوله [١٥٠].

إنتقل بيلاجيوس من هيبو إلى قرطاج وأقام مع أصدقائه وتلاميذه طوال فصل الشتاء،واستطاع أن يرى أوغسطين مرتين على عجالة دون أن يحدث لقاء بينهمالأن أوغسطين كان مشغولا فى الإعداد للمؤتمر الذى سيناقش قضية الدوناتيين [١٥١] . ولم يره أوغسطين مرة أخرى، ولكنه علم أن بيلاجيوس وأصدقاءه قد بدأوا فى الدفاع عن الرأى القائل بأن الأطفال لا يتم تعميدهم لمغفرة الذنوب ولكن من أجل الحصول على تقديس أعلى من خلال الإتحاد مع المسيح. وقد ظهرت هذه العقيدة لأوغسطين كإنكار لتعاليم الكنيسة ، لأنها تضمنت عمليا إنكار أى ذنب بالخطيئة الأصلية التى كانت بحاجة إلى الغفران [١٥٢].

أما أوغسطين الذى كان مشغولاً بشكل كبير بمشكلة الدوناتية فإنه لم يعط وزنا كبيراً لمؤيدى البدعة الجديدة ، ولم يكتب شيئا فى هذا الشأن .[١٥٣] .ولكن يبدو أن وجود رعاة مؤثرين لبيلاجيوس فى شمال إفريقيا وخاصة هيبو هم سبب تردد أوغسطين قبل أن يتعامل مع بيلاجيوس بالإسم ، ولم يتم ذلك لأوغسطين إلا بعد أن غادرت أسرة ميلانيا شمال افريقيا [١٥٤].

أبحر بيلاجيوس بعد فترة قصيرة إلى فلسطين دون أن يلتقى بأوغسطين وترك وراءه كالستيوس الذى كان يجاهر بآراء بيلاجيوس ويبشر بها . وتقدم كالستيوس بطلب للسلطات الكنسية فى قرطاج لترسيمه كاهنا بالكنيسة ، ولكن العديد من الكاثوليك المتحمسين قاموا بتحذير الأسقف أوريللوس ضده بإعتباره أفاقاً ومعلماً زائفاً ، وقام الأسقف بالدعوة إلى مجمع دينى فى مدينته الأسقفية قرطاج فى أواخر سنة ٤١١ أو بداية سنة ٤١٢ ،ولم يكن أوغسطين حاضراً فى هذا المجلس[١٥٥] .وتقدم بولينوس شماس ميلان والسكرتير السابق للأسقف أمبروز بوثيقة الإتهام ضد كالستيوس، وقام فى نفس الوقت كممثل للإدعاء أثناء المحاكمة، وتكفل بتقديم الأسئلة والإتهامات ، وكانت أهم التهم التى وجهت إلى كالستيوس أنه لم يقم بإدانة الرأى القائل بأن آدم قد خلق فانيا وأنه كان

(149) Augustine, " The Account of Proceedings Against Pelagius", TAPT, p .219 ; Koopmans , first Contact, p.150.
(150) Koopmans,First Contact, p.150.
(151) Augustine, " The Deeds of Pelagius" ,ANP, p.365; Proceeding Against Pelagius, p.219; Koopmans, First Contact, p.,151.
(152) Wace, Christian ;Biography, p.1307.
(153)Wace, Christian ;Biography, p.1307.
(154) Brown,Patrons ofPelagius, pp.63-65.
(155) HeFele C.J,A History of the Councils of the Church, Vol,2(Edinburgh,1896) , p.446; Wac,Christian Biagraphy, p.1307;Burns,Augustine's Role,P.69; Squyires,The Pelagians Controversy, p.149.

سيموت سواء أخطأ أم لم يخطئ . وأن خطيئة آدم لم تضر إلا نفسه فقط وليس الجنس البشرى،وأن الأطفال عند ولادتهم فى نفس الحالة التى كان عليها آدم قبل السقوط [١٥٦] .وعندما بدأ بولينيوس فى استجواب كالستيوس كان كالستيوس يراوغ فى الإجابة، دون أن يعطى إجابة واضحة وصريحة بإنكار التهم الموجهة إليه أو إدانة من يقول بهذه الأقوال، وكان يرد على السؤال بسؤال مماثل أو يقول كثير من رجال الدين الكاثوليك يقولون ذلك [١٥٧]

لم ينجح كالستيوس فى الدفاع عن صحة معتقداته وتم الحكم على شروحه بأنها مراوغة، وصدر عليه وعلى أتباعه الحكم بالحرمان، وتم إدانة عقائده بإعتبارها غير متوافقة مع الكتاب المقدس ومخالفة للإيمان الكاثوليكى ، وقد تضمن الحرمان العقائد التالية : أن أدم قد خلق قابلا للفناء وأن خطيئة آدكم تؤذيه وحده فقط وليس كل البشر، وأن الأطفال عند ميلادهم يكونون فى نفس الحالة التى كان عليها آدم قبل السقوط . وليس صحيحاً أنه بسبب موت وخطيئة آدم يموت كل البشر، كما أنه ليس صحيحاً أنه بسبب قيامة المسيح يبعث الرجال من جديد. وأن الناموس يؤدى إلى دخول الرجال فى ملكوت السماوات كما يفعل الإنجيل . وأنه قبل مجيئ المسيح كان هناك رجال بلا خطيئة[١٥٨] . وبعد إدانه كالستيوس ومعتقداته أبحر بعد ذلك بوقت قصير مغادراً شمال أفريقيا متجها إلى إفيسوس[١٥٩]

ويشير الكتاب جريا وراء أوغسطين إلى أن هذه العقائد التى أدينت فى مجمع قرطاج على أنها عقائد كالستيوس هى فى الأصل تعاليم وعقائد أستاذه بيلاجيوس[١٦٠] وذلك لأنه لا توجد أى كتابات عن المذهب أو العقائد مدونه باسم بيلاجيوس وهو الأمر الذى دعا أوغسطين إلى القول : ألا ترى كيف أن بيلاجيوس يدخل كل ذلك فى كل ما يكتب ، ليس موقعا باسمه ولكن باسم أناس آخرين [١٦١].

وتظهر وجهة النظر اللاهوتية لبيلاجيوس بوضوح شديد فى رسالته الشهيرة إلى ديمترياس Demetrias بمناسبة قرارها بأن تحيا حياة الرهبنة فى عام ٤١٣. حيث أوضح فى تلك الرسالة أنه عندما يقوم بإعطاء التعليمات فى الأمور الدينية فإنه يركز على قدرة الطبيعة البشرية، يريد أن ينفى كلمة مستحيل. ووفقا لذلك يرفع قوة الإرادة البشرية، ويقول بأن الله قد أعطانا حرية الاختيار، وجعلنا قادرين على الخير والشر. وأما قدرات الطبيعة البشرية على

([156]) Augustine, " The Grace of Christ and Original Sin"ANP, p.434.

([157])Augustine, " The Grace of Christ PP.434,435; Beck, The Pelagian Controversy, p.685.

([158]) Augustine,The Deeds of Pelagius,PP.350,351; Proceedings Against Pelagius, p.193;Wace, Christian Biography, p.1307;Hefele,Councils of the Church,Vol.2, p.447; Chadwick,The Church in Ancient Society, p.451.

([159]) فى رحلة كالستيوس من قرطاج إلى افيسوس فى سنة ٤١٢، مر خلال رحلته بصقلية ، وانتشرت آراؤه هناك على نطاق واسع Wiggers, Ajgustinism,p.46.

([160]) Augustine,The Deeds of Pelagius, p.350.

([161]) Augustine " The Punishment and Forgiveness of Sins and the Baptism of Little Ones " ATVP, p.123.

التميز الأخلاقى فإنه يمكن رؤيته فى فلاسفة الوثنيين الذين كانوا أنقياء ومنكرى للذات وخيرين وغير دنيويين. ولم يأت هذا الخير إلا من صلاح الطبيعة البشرية ، فقد كان الرجال بدون الله قادرون بالقوة الممنوحة لهم فى خلقهم على إرضائه [١٦٢].

وإذا كانت الطبيعة البشرية فى حد ذاتها قادرة على هذا الإمتياز العالى، فكم يمكن للمسيحى أن ينجز بعد كل ما تعلمه من المسيح وبمساعدة من النعمة الإلهية. وهكذا فإن بيلاجيوس يعترف بالنعمة الإلهية ، لكن النعمة لا تعنى له فى أى مكان ما تعنيه بالنسبة للكنيسة [١٦٣]. ويشجع الخطاب إلى ديمترياس بأكمله على الإعتماد على الذات بدرجـــة غير عادية ، ويحث الخطاب كثيرا عن دراسة الكتاب المقدس ويذكر القليل جدا عن الصلاة . وأن الحاجة للتغلب على ضعفنا ليست جزءاً من المفهوم البيلاجى. وأنه يصور الله والملائكة وهم يشاهدون النزاع المسيحى ، ولكن الله متفرج وليس مساعد [١٦٤] . ولا توجد إشارة إلى منح القوة التى يلتمسها الضعف البشرى إذا كانت المهمة صعبة وتتجاوز قدرة ضعف الجسد. ويقول بيلاجيوس أن هذا الإلتماس يتهم الله بالجهل المزدوج ، الجهل بما خلق والجهل بما أمر به. كأن الرب يستطيع أن ينسى محدودية الطبيعة التى خلقها ويفرض عليها وصايا لا تستطيع تحقيقها. هل نفترض أن الله يدين الناس بعصيان لايمكن تجنبه ، فلا أحد يعرف قدرة قوتنا أفضل من الذى أعطى تلك القوة . وهكذا فإن السمة الرئيسية للرسالة الموجهة إلى ديمتريا هى إغفالها بوضوح لمذهب المساعدة الخارقة للطبيعة والمساعدة المعنوية التى تمكن الإنسان من القيام بما لا يمكن القيام به[١٦٥] ومن الواضح أن النعمة بمعنى القوة الخارقة الممنوحة من الله ، لا لزوم لها فى نظر بيلاجيوس. وفى بعض الأحيان يعرف بيلاجيوس النعمة بالطبيعة ، فالنعمة تدل على الهبات الطبيعية التى خلق بها الإنسان ، وهكذا كانت النعمة هى نفس الإرادة الحرة . وللتأكد على أن قوة الإرادة إن لم تكن كافية فإن هذا يعنى التقليل من شأن الخالق، بأن نقول أننا لا نستطيع أن نفعل ما يأمر به الله ، هو أن نقول أن الله يأمر بالمستحيل . نعم الله إذا هى نفس عطايا الإنسان الطبيعى [١٦٦].

إن إنتشار آراء بيلاجيوس وكالستيوس والجهود المبذولة لتبديدها ، حرك إهتمام أوغسطين وجعلته يندد بها فى عظاته التى خصصها لدحض المذاهب المبتدعة على الرغم من أنه لم يذكر رؤسائها بالاسم [١٦٧] ثم ازدادت حماسته بعد وصول رسالة من صديقه مارسيلينوس Marcellinus المندوب الإمبراطورى للإشراف على الشئون الكنسية فى

(162) W.J.Sparro-Simpson,The Letters of St.Augustine,(London,1919), p.126,127.
(163) Simpson, The Letters St.Augustine, pp.127,128.
(164) Simpson, The Letters St.Augustine, pp.127,128.
(165) Simpson, The Letters St.Augustine, pp.128,129.
(166) Simpson, The Letters St.Augustine, p.130.
(167) Wace, Christian Biography, p.1307.

قرطاج الذى أبدى انزعاجه من الهجمات اليومية للمجادلين البيلاجيين وكتب له بعض الأسئلة والاستفسارات حول معمودية الأطفال [١٦٨]. مما دعا أوغسطين أن يرد كتابه على ادعاءات البيلاجية فى كتابين . تناول فى الكتاب الأول المواقف التى مفادها أن الموت فى الإنسان هو عقوبة الخطيئة وليس شرطا من علة تكوينه الطبيعى ، وأن معمودية الأطفال كانت من أجل غفران الخطيئة الأصلية التى يتحملون ذنبها منذ ولادتهم [١٦٩]. وفى الكتاب الثانى ناقش أن الإنسان الأول ربما عاش بلا خطيئة بنعمة من الله وإرادته الحرة . وفى الواقع لا يوجد إنسان حى خال تماما من الخطيئة، وأن الإنسان الوحيد الخالى من الخطيئة هو المسيح ، الإله والإنسان والوسيط [١٧٠] ثم أضاف أوغسطين رسالة ثالثة لمارسيلينوس عندما صار على معرفة ببعض الحجج الجديدة ضد الخطيئة الأصلية [١٧١].

لم يشر أوغسطين فى الكتابين الأول والثانى إلى بيلاجيوس أوكالستيوس بالإسم ، أما فى الكتاب الثالث وبينما كان يجادل بقوة ضد وجهات النظر فى طبيعة الخطيئة الأصلية التى يطرحها بيلاجيوس، فإنه تحدث عن بيلاجيوس بإحترام ملحوظ ، واصفاً إياه بالرجل المسيحى البارز [١٧٢] .

استمرت البيلاجية فى الإنتشار وتأكيد نفسها، ووجدت العديد من المؤيدين فى قرطاج. وادعت الهيمنة على الكنائس الشرقية التى كانت تميل دائما إلى التأكيد على قوة الإرادة البشرية، وردت بجرأة على الاتهام بالبدعة وأعلنت أن إرادة أوغسطين والحزب المهيمن فى أفريقيا كانت خروجا على العقيدة الأرثوذكسية القديمة [١٧٣]. وقد أثار ذلك سخط أوغسطين. وفى موعظة له بتاريخ ٢٧ يونيو ٤١٣ تعامل مع معمودية الأطفال، ودحض بعض المراحل الجديدة للرأى البيلاجى القائل بأن الأطفال قد تعمدوا ليس لحاجة المغفرة من ذنب الخطيئة الأصلية التى كانوا أبرياء منها تماما ، وأنهم يدخلون مملكة الرب ويحصلون على الخلاص والحياة الأبدية [١٧٤]. ويختتم أوغسطين موعظته بتوجيه نداء حاد لخصومة بعدم الإستمرار فى الحفاظ على هذه الآراء لكونها معادية لمثيلاتها الأساسية فى عقيدة الكنيسة وممارساتها مثل معمودية الأطفال ، وأنه يجب أن تتبرأ منها الكنيسة كهرطقة دينية . لقد ناشدهم كأصدقاء أن يتداركوا الخطأ الذى ينحرفون فيه حتى لا يصدر ضدهم حكماً رسمياً بالإدانة [١٧٥] . وفى نفس الوقت تقريبا تلقى رسالة من بيلاجيوس الذى كان فى فلسطين ، ورد أوغسطين بعبارات ودية [١٧٦].

(168) Augustine, The Deeds of Pelagius, p.352; The Proceeding Against Pelagius, p.196.
(169) Augusline, The Punishment, p.81.
(170)Augusline, The Punishment, p.81.
(171)Wace, Christian Biography, p.1307.
(172)Augustine, The Deeds of Pelagius, p.368; The Proceeding Against Pelagius, p.224; The Punishment, p.121.

(173) Wace, Christian Biography, p.1308.
(174)Wace, Christian Biography, p.1308 ;Dictionary of Sects, p.419.
(175)Wace, Christian Biography, p.1308.
(176)Augustine, The Deeds of Pelagius, p.368; The Proceeding Against Pelagius, p.224.

استمرت الآراء البيلاجية فى التداول الهادئ والسرى ، وزاد أتباعها بشكل كبير لدرجة أن أوغسطين أعلن قلقه بشأن صقلية التى وصلت منها هذه الأخبار فى سنة ٤١٤، حيث كتب إليه هيلارى Hilary بأن بعض المسيحيين فى سيراكوزا كانوا يؤكدون بأن الإنسان يمكن أن يكون بلا خطيئة ، وأن يحافظ بسهولة على وصايا الله إن شاء ذلك . وأن الطفل غير المعمد الذى اخترمه الموت لا يمكن أن يهلك باستحقاق ، لأنه قد ولد بدون خطيئة [١٧٧] . وتظهر الآراء الأخرى التى ذكرها هيلارى كما يعتقدها السيراكوزيين تطوراً جديداً للفكر البيلاجى وهى أن الرجل الغنى لا يستطيع أن يدخل ملكوت الله ما لم يبع كل ما لديه ، لأنه لن يتمكن من حفظ وصايا الله. إذا كان لا يزال يحتفظ بثروته ويستخدمها [١٧٨] وفى نفس الوقت تقريبا وصلت أوغسطين رسالة من اثنين من الشباب من ذوى الأصل النبيل كانا قد تتلمذا على يد بيلاجيوس واقنعهما بالتخلى عن مباهج الدنيا والإنخراط فى حياة الرهبنة ، مع حماستهم للكثير من أفكاره[١٧٩] . كتبا إليه يقولان أنهما قد تأثروا بحجج أوغسطين عن طبيعة النعمة المسيحية، وأرفقوا فى رسالتهم كتابا لبيلاجيوس وطلبا الإجابة عما يحتوية من القضايا [١٨٠] . وكان الكتاب يتضمن آراء بيلاجيوس القائلة بأن الطبيعة البشرية ملائمة لعمل الخير، وأكد أنه من الممكن أن نحيا بدون خطيئة بنعمة الله ومعونته، لكن النعمة المعترف بها على هذا النحو كانت الهبة الطبيعية للإرادة الحرة التى هى هبة الله [١٨١] .

وهكذا كان أوغسطين هو المحور الرئيسى الذى يلجأ إليه المهتمون بالشئون الكاثوليكية فى فهم ما يدور من إرتياب فى آراء بيلاجيوس أو بشأن غيرها من البدع التى ظهرت فى هذا الوقت. ففى بداية عام ٤١٥ وصل إليه بولس أورسيوس Paulus Orasius أحد قساوسة مدينة ترغونة الإسبانية ، للتشاور مع أوغسطين فى بعض المسائل المتعلقة بالأوريجينية والبرسكليانية Priscillianism[١٨٢]. و بعد أن انتهت مهمة اورسيوس أرسله أوغسطين إلى جيروم فى بيت لحم حيث يقيم بيلاجيوس منذ عدة سنوات ، ظاهرياً للحصول

(177) Augustine, The Grace of Christ, p.439; The Deeds of Pelagius, p.351; Proceeding Against Pelagius, p.194.

(178) Dictionary of Sects, p.420;Wace, Christian Biography, p.1308.

(179) Augustine, Saint Augustine Letters, Vol.4 (New York,1955), p.111; The Deeds of Pelagius,p.365; Proceedings Against Pelagius, p.219.

(180) Augustine, Proceedings Against Pelagius, p.219; Saint Augustine Letters, Vol.4, p.111

(181) Saint Augustine Letters, pp.111,112.Wace, Christian Biography, p.1308.

استجاب أوغسطين لطلبهما وقام بالرد على ماجاء فى كتاب الطبيعة لبيلاجيوس بكتاب أسماه الطبيعة والفضل الإلهى، وفى بداية الكتاب وجه الحديث لهما قائلا، لقد تركت جانبا فى التو واللحظة ما كنت أعمل به، وقمت بسرعة ولكن بإهتمام شديد بقراءة الكتاب الذى ارسلتماه لى ، ووجدت فى ثناياه رجلا يضطرم حماسة ضد هؤلاء الناس الذين يجب عليهم أن يضعوا اللوم عن أخطائهم على الإرادة الإنسانية .

Augustine, " Nature and Grace", ANP, pp.204,225

(182)Augustine, The Deeds of Pelagius, p.319; Chadwick, The Church in Ancient society, p.452;Rees, Pelagius, p.16;Wace Christian Biography, p.1309.

والبرسكليانية هى حركة صوفية تركزت فى أسبانيا خلاق القرن الرابع

J.N.Hillgarth, "Priscillianism", NCE,Vol.11, p.720

على مزيد من الدراسة ، ولكنه فى الحقيقة كان مكلفا بمشاهدة ممارسات بيلاجيوس، وإبلاغ الكنيسة فى فلسطين بالإجراءات التى اتخذتها الكنيسة الإفريقية لقمع البدعة المتنامية [١٨٣] وصل أورسيوس إلى فلسطين فى شهر يونيو ، وقضى بضعة أسابيع مع جيروم الذى كان يكتب حينها حواره ضد البيلاجيين[١٨٤] وفى الثامن والعشرين من يوليو ٤١٥ تم دعوة أورسيوس لحضور المجلس الذى دعا إليه يوحنا أسقف بيت المقدس، وسئل عما يمكن أن يقوله ضد بيلاجيوس وكالستيوس. فقدم تقريراً بالإدانة الرسمية لكالستيوس من مجمع قرطاج عام ٤١٢، وأشار إلى أن أوغسطين يكتب بحثا[١٨٥] رداً على أحد أعمال بيلاجيوس ، وقرأ نسخة من خطاب أوغسطين إلى هيلارى . وعندئذ أمر رئيس الأساقفة باستدعاء بيلاجيوس وإعطائه الفرصة للدفاع عن نفسه ضد أى تهم تتعلق بسلامة عقيدته. وقد سأل الكهنة بيلاجيوس بالعقائد التى احتج عليها أوغسطين ؟ وأجاب ومن يكون أوغسطين بالنسبة لى [١٨٦].هذا الرفض الجرئ والازدراء لإسم ومكانة الأسقف فقد سمح لبيلاجيوس العلمانى والهرطوقى المزعوم أن يجلس بين الكهنة ، وصاح الأسقف أنا هنا أوغسطين [١٨٧] أى أنه صار ممثلاً لأوغسطين. وبدأ فى الاستماع إلى التهم الموجهة ضد بيلاجيوس . وقال أوريسيوس أن بيلاجيوس وفقاً لإعترافه كان يدرس بأن الإنسان يمكن ان يكون بلا خطيئة ، ويمكنه بسهولة أن يحافظ على وصايا الله إذا أراد ذلك [١٨٨] . وعندما اعترف بيلاجيوس بذلك، تابع أوريسيوس أن هذه العقيدة تم رفضها فى مجمع قرطاج، ثم تطرق النقاش إلى عقيدة النعمة الإلهية وإتهام بيلاجيوس بإنكارها. واستشف أورسيوس أن الأسقف يوحنا لم يكن راغباً فى إدانة بيلاجيوس، كما أنه واجه صعوبات فى معرفة مجريات الحوار نظراً لأنه كان يتحدث اللاتينية فقط وكان الأسقف يوحنا يتحدث اليونانية ، فلم يتمكنا من فهم بعضهما إلا من خلال مترجم، ترجم الكثير من العبارات بشكل خاطئ .وعلى ذلك فقد عرض أوريسيوس على المجلس أنه بما أن بيلاجيوس وخصومه من اللاتين فإنه يجب ترك القرار بشأن هذه البدعة للاتين، وطلب بإحالة القضية برمتها إلى البابا أنوسنت بصفته كبير أساقفة المسيحية اللاتينية [١٨٩] . وتم قبول هذا الإقتراح.

([183]) Rees,Pelagius, p.16;Hefele, Councils of the church, Vol.2, p.449,Dicionary of Sects, p.416.

([١٨٤]) كتب جيروم بحثين ضد البيلاجية أحدهما فى رسالة إلى تسيفون Ctesiphon والثانى محاورة ضد البيلاجية.

Mckenna, Pelagius, p.61;Chadwick, The Church in Ancient society, p.452.

([١٨٥]) يقصد به كتاب الطبيعة والنعمة الذى كتبه ضد البيلاجيين ردا على كتاب الطبيعة لبيلاجيوس.

Hefele, Councils of the Church, Vol.2, p.449.

([186]) Augustine, The Deeds, of Pelagius, p.320.

([187]) Augustine, The Deeds, of Pelagius, p.320, Wace, Christian Biography, p.1309; Hefele, Councils of the Church, Vol.2, p.449.

([188]) Augustine, The Deeds, of Pelagius, p.320, Wace, Christian Biography, p.1309; Hefele, Councils of the Church, Vol.2, p.449,450.

([189])Augustine, The Deeds, of Pelagius, p.321, Hefele, Councils of the Church, Vol.2,P450; Chadwick, The Church in Ancient Society, p.452;Wace,Christian Biography, p.1310.

استمر الجدل دائراً فى فلسطين حول الآراء البيلاجية، وتزعم جيروم وبضعة من المسيحيين المتعصبين التيار المناهض للبيلاجية . وفى نهاية شهر ديسمبر ٤١٥ تم عقد مجمعا فى ديوسبولس (اللد) DiosPolis لمناقشة المشكلة برئاسة يولجيوس Eulogius أسقف قيصرية ليصل عدد الأساقفة المجتمعين إلى أربعة عشر أسقفا، وذلك بعد أن تقدم أثنان من أساقفة الغال السابقين وهما هيروس أسقف آرل Heros of Arles ولازاروس أسقف أيكس Lazarus of Aix بتقديم إتهام رسمى ضد بيلاجيوس ، ولكنهما لم يتمكنا من حضور الجلسة بسبب مرض ألم بأحدهما [١٩٠] وهكذا لم يكن هناك ممثل للاتهام، ومن ثم فقد تم قراءة خطاب الشكوى باقتضاب، ونظراً لأن الأساقفة المجتمعين كانوا غير ملمين باللغة اللاتينية فقد تم اختيار نقاط الشكوى المختلفة بواسطة أحد المترجمين. وكان هذا الموقف فى صالح بيلاجيوس الذى كان يفهم اللغة اليونانية ، كما كان قادراً على التحدث بها أمام أعضاء المجمع والإجابة عن استفساراتهم ودحض شكوكهم [١٩١] وتشير أعمال هذه المحاكمة إلى أن بيلاجيوس قد أجاب عن أسئلة الأساقفة الفلسطينيين حول تعاليمه ، وحازت على رضاهم وقبولهم. وفى النهاية خرج بيلاجيوس بريئا من تهمة الهرطقة [١٩٢]. كان أوغسطين يراقب الموقف ، ولكنه لم يشأ أن يناقش الأعمال التى تمت والقرارات التى تم اتخاذها إلا بعد أن تكون لديه الوثائق الرسمية بأعمال المجلس [١٩٣].

بعد أن وصلت أوغسطين الإجراءات التى تمت فى المجلس قام بفحص وتفنيد جميع الإتهامات التى وجهت إلى بيلاجيوس وقام بشرح كل قضية وما أنتهى إليه رأى القضاة. ولم يكتف بذلك وإنما ناقش أيضا ما كان يجب على القضاة الاستفسار عنه أو الاستشهاد به.وعندما قام القضاة بتبرئة بيلاجيوس من تهمة الهرطقة قال أوغسطين أن ذلك يعنى تبرئة بيلاجيوس وتحمل فى نفس الوقت الإدانة للآراء الهرطوقية التى تبرأ منها بيلاجيوس.

أما التهم التى تم توجيهها إلى بيلاجيوس وتمكن من تبرئه نفسه منها فهى الاتهام بأن الإنسان لا يمكن أن يكون بلاد خطيئة مالم يكن لديه معرفة بالناموس . فأجاب بيلاجيوس الكلمات فعلا كلماته ولكنه لم يعنيها بالمعنى الذى يفهمه بها المتهمون وأنه لم يقصد بقوله أنه لا يستطيع أن يخطئ الذى له معرفة بالناموس ، ولكن هذا الإنسان تساعده معرفته بالناموس لأن يكون بلا خطيئة ، كما يقول الكتاب المقدس أعطاهم الشريعة لمساعدتهم [١٩٤] . ولما سمع أعضاء المجمع ذلك ، قالوا أن ماقاله بيلاجيوس

(190) Augustine, The Deeds, of Pelagius, p.336; Wace, Christian Biography, p.13010; Hefele, Councils of the Church, Vol.2, pp.450,451; Burns, Augustine's Role, p.70.

(191) HeFele,Councils of the Church, Vol,2, p.451.

(192) Burns,Agustine's Role, p.70; Mckenna, Pelagius, p.62.

(193) Augustine, Proceedings Against Pelagius, p.167; Saint Augustine Letters, pp.114,115.

(١٩٤) العهد القديم ، اشعيا ، ٨ : ٢٠

لا يتعارض مع تعاليم الكنيسة [١٩٥] اما القول بان كل إنسان تحكمه إرادته، فقد أوضح أنه قصد بذلك تأكيد مسئولية إرادة الإنسان الحرة التى يساعدها الله فى اختيار الخير، ولكن الإنسان عندما يخطئ ، يقع عليه اللوم لأنه تجاوز حدود إرادته الحرة . وأقر الأساقفة بأن هذا لا يتعارض مع تعاليم الكنيسة [١٩٦] . ثم وجه الإتهام إلى بيلاجيوس بأنه يقول أنه فى يوم الدينونه لا يسلم الأشرار والخطاة بل يحرقون بالنار الأبدية ، حتى أولئك الذين ينتمون أساساً إلى المسيح. وأجاب بيلاجيوس بأن تصريحه جاء وفقاً لما جاء فى الإنجيل " فيذهب هؤلاء إلى العقاب الأبدى والصالحون إلى الحياة الأبدية " [١٩٧] وأن من يؤمن بخلاف ذلك فهو أوريجينى [١٩٨] وهذه الإجابة أرضت مجلس الأساقفة. ثم تم الإدعاء بأنه قال : أن الشر لم يدخل حتى فى فكر المسيحى الصالح . فأجاب بيلاجيوس بأنه يقصد أن على المسيحى أن يحرص على عدم التفكير فى الشر [١٩٩] وقد وافق القضاة على ذلك، ثم تمت قراءة عبارة أخرى من كتابه يستخف فيها بنعمة العهد الجديد بالقول : أن ملكوت السماوات موعود به فى العهد القديم . وأن معنى ذلك أن الإنسان يمكنه الحصول على الخلاص بمراعاة أحكام الشريعة فأوضح بيلاجيوس أنه إنما قال ذلك كبرهان على السلطة الإلهية الموجودة فى العهد القديم لأن هناك من ينكرون ذلك ، وأن صحة رأيه تعتمد على ما جاء فى العهد القديم " غير أن قديسى العلى يستولون على المملكة ويتملكونها إلى أبد الآبدين" [٢٠٠] فقال القضاة وهذا أيضا لا يتعارض مع إيمان الكنيسة [٢٠١].

الموضوع التالى الذى تمت مناقشته هو أن بيلاجيوس قد كتب فى نفس الكتاب أن الإنسان يمكن أن يكون بلا خطيئة إذا أراد .وأنه كتب رسالة مجاملة ومديح لإحدى الأرامل التى تعيش حياة الزهد يقول فيها " معك قد تجد التقوى المسكن الذى لا تجده فى أى مكان آخر، ولعل البر الغريب فى كل مكان أن يجد فيك مأواه ومسكنه "[٢٠٢] ، فأوضح بيلاجيوس بأنه ربما قد اعترف بالإمكانية المجردة للخطيئة فى الإنسان ، إلا أنه لم يؤكد أبدا أن هناك أى رجل ظل بلا خطيئة من الطفولة إلى الشيخوخة ولكن الرجل عند اهتدائه ، قد يستمر بدون خطيئة بجهوده الخاصه ونعمة الله [٢٠٣]. فقال القضاة .

([195]) Augustine, The Deeds, of Pelagius, p.336,337; Proceedings against Pelagius, p.168; HeFele, Councils of the Church, Vol.2, pp.451,452.

([196])Augustine, The Deeds, of Pelagius, p.339, The Proceedings against Pelagius, p.172. HeFele, Councils of the Church, Vol.2, p452.

([١٩٧]) العهد الجديد ، متى ٢٥ : ٤٦.

([198])Augustine, Proceedings Against Pelagius, P.177; The Deeds of Pelagius, p.341 , Wace Christian Biography,1310.

([199])Augustine, Proceedings Against Pelagius, P.179; The Deeds of Pelagius, p.343; Wace Christian Biography,1310,HeFele, councils of the Church, Vol.2,452.

([٢٠٠]) العهد القديم ، دانيال ، ٧ : ١٨.

([201])Augustine, Proceedings Against Pelagius, pp.180,181; The Deeds of Pelagius, p.343.

([202])Augustine, Proceedings Against Pelagius, pp184,185; The Deeds of Pelagius, p.346; Wace Christian Biography,1311,HeFele, councils of the Church, Vol.2,452.

([203])Augustine, Proceedings Against Pelagius, p.,185; The Deeds of Pelagius, p.346; The Grace of Christ, P.348;Wace Christian Biography,1311.

بما أنك تنكر أنك قد كتبت شيئا من هذا القبيل فهل تجرم وتحرم من يتبنى مثل هذه الآراء . أجاب بيلاجيوس أنا أحرمهم كحمقى وليس كهراطقة[٢٠٤].

أما الاعتراضات التالية ضد بيلاجيوس لم تكن من بين كتاباته ، وإنما كانت عبارات معينة تم اختيارها من كتابات تلميذه كالستيوس القائلة بأن آدم قد خلق فانيا وكان محكوما عليه بالموت سواء أخطأ أم لم يخطئ . وأن خطيئة آدم تضر به وحده وليس الجنس البشرى. وأن الشريعة تعترف بالملكوت تماما مثل الإنجيل . وأنه قبل مجئ المسيح كان هناك رجال بلا خطيئة . وأن الأطفال حديثى الولادة هم فى نفس الحالة التى كان عليها آدم قبل أن يرتكب الإثم. وأنه لا بموت آدم ولا عصيانه يموت الجنس البشرى كله ولا بقيامة المسيح يقوم الجنيس البشرى كله مرة أخرى [٢٠٥]. وأجاب بيلاجيوس بأن بعض هذه التهم قد تمت الإجابة عنها بالفعل ، وثبت أنها متوافقة مع الكنيسة . لكن بقية الأقوال لم أدل بها أبدا ، ولست مضطرا أن أقدم ترضيه مقنعة بشأنها ، ومع ذلك وحتى يكون المجلس المقدس مقتنعاً ،فإنى أنزل اللعنة على أولئك الذين ينادون بمثل هذه الآراء أو اعتنقوها [٢٠٦] . بعد ذلك أعلن المجلس أن الراهب بيلاجيوس الماثل أمامهم متوافق تماما مع العقائد الإلهية ، وأنه ينكر ويحرم ما يتعارض مع إيمان الكنيسة، وأن المجلس يعترف بأنه منتمى إلى شركة الكنيسة الكاثوليكية [٢٠٧].

ويعلق أوغسطين على ذلك بقوله ، كان هذا هو طابع الإجراءات التى يفرح بها اصدقاء بيلاجيوس لأنه قد تم تبرئته من تهمة الهرطقة ، وأما من جانبنا فإنه لا ينبغى أن نفرح بتلك البراءة ، ثم يقول بأنه لا يتهم القضاة بالإهمال أو التواطؤ[٢٠٨] ثم يقول أنه على الرغم من تبرئة بيلاجيوس بشكل كاف من خلال حكم شرعى إلا أن البدعة نفسها قد تم إدانتها من خلال حكم الأساقفة الشرقيين الأربعة عشر [٢٠٩]. ثم يختتم رسالته إلى أورليوس أسقف قرطاج بقوله بعد كل ذلك يجب علينا الإنتظار فى صمت حتى نسمع عن الخطوات التى يعتقد اخواننا الأساقفة أنه من الجيد اتخاذها بشأن مثل هذه الجرائم [٢١٠].

أما جيروم الذى كان ينظر إليه على أنه المحرك الرئيسى فى محاكمة بيلاجيوس، فقد شكك فى أوثوذكسية الكثير من أعضاء المجلس، ووصف مجمع ديوسبولس على أنه مجمع بائس [٢١١]. ولذلك فقد قام مجموعة من غلاة البيلاجين

(204)Augustine, Proceedings Against Pelagius, P.185; The Deeds of Pelagius, p.346; Wace Christian Biography,1311.

(205)Augustine, Proceedings Against Pelagius, pp.193,194; The Deeds of Pelagius, pp.350,351.

(206)Augustine, Proceedings Against Pelagius, pp.194,195,217; The Deeds of Pelagius, pp.351,352,Rees, Pelagius, p.2.

(207)Augustine, Proceedings Against Pelagius, p.,217; The Deeds of Pelagius, p.364; Wace, Christian Biography,P.1311;Hefele, Councils of the Church,P.454.

(208) Augustine, Proceedings Against Pelagius, p.217,218;The Deeds of Pelagius, p.364.

(209)Augustine, Proceedings Against Pelagius, p.234.

(210)Augustine, Proceedings Against Pelagius, p.241.

(211) Wace, Christian Biography, p.1311,Hefele, Councils of the Church,Vol.2, p.455.

بمهاجمه دير جيروم فى بيت لحم ، فأشعلوا فيه النار ودمروا بعضاً من مبانيه وتعرضت الراهبات والرهبان لكثير من الأذى [٢١٢].

عاد الجدل مرة أخرى إلى الغرب، فاجتمع أكثر من تسع وستين أسقفا فى قرطاج قرب نهاية عام ٤١٦، وقدم لهم الإتهامات أورسيوس الذى سبق أن قدم نفس الإتهامات ضد بيلاجيوس فى مجمع ديوسبولس ، ووجد الأساقفة أنها نفس الإتهامات التى أدينت فى مجمع قرطاج سنة ٤١٢. [٢١٣] وقرروا أن يتم استئناف القضية أمام البابا أنوسنت أسقف روما . وأوضحوا بأن المجالس الكنسية فى القدس وديوسبولس قد يكون لهما ما يبرر تبرئتهما لبيلاجيوس على اساس تفسيراته وتبريراته ومراوغاته ولفتوا الإنتباه إلى استمرار تمسك بيلاجيوس بالمذاهب التى تؤكد على كفاية الطبيعة لتفادى الخطيئة والوفاء بوصايا الله،أى أنها تحل محل النعمة الإلهية وغير ذلك من عقائدهم مؤيدة بالوثائق الداعمة لذلك . وفى نفس الوقت عقد اساقفة نوميديا مجلساً فى ميليوم Mileum ، حضره إحدى وثلاثون اسقفا من بينهم أوغسطين ، وقاموا بكتابة رسالة إلى البابا أنوسنت تحمل نفس المعنى قائلين أن البابا سيجد فى عقيدة البيلاجية تناقض مع أقوال الكتاب المقدس[٢١٤]. بعد ذلك بوقت قصير قام خمسة أساقفة أفارقة من بينهم أوغسطين مرة أخرى بتوجيه نداء خاص إلى البابا أنوسنت وسعوا إلى الغاء التبرئة التى حصل عليها بيلاجيوس فى مجمع ديوسبولس فى فلسطين زاعمين أن بيلاجيوس لم يحصل عليها إلا بإخفاء مشاعرة الحقيقية والإعتراف بالإيمان الأرثوذكسى بلغة غامضة لخداع الأساقفة الشرقيين ، كما عانى الأساقفة من غموض فى اللغة لأنه لم يكن لديهم المام باللغة اللاتينية ، وكانوا تحت رحمة أحد المترجمين. وطلبوا أن يقوم البابا باستدعاء بيلاجيوس إلى روما لاختبار ايمانه من جديد [٢١٥].

اقتنع البابا انوسنت بمحتوى رسائل الأساقفة الأفارقة وفى ٢٧ يناير سنة ٤١٧ أجاب البابا فى ثلاث رسائل مكتوبة إلى الجهات الثلاث يؤكد فيها على سمو سلطة أسقف روما، وأصدر حكمه بحرمان بيلاجيوس وكالستيوس وجميع المحرضين على آرائهم [٢١٦].

حاول بيلاجيوس أن يبرئ نفسه أمام البابا أنوسنت فكتب إليه رسالة تتضمن قانون إيمانه وعن آرائه التى يستغلها بعض الناس للنيل منه وتشويه سمعته مثل إنكار طقس التعميد

(212)Augustine, Proceedings Against Pelagius, p.241;Wace, Christian Biography, p.1311.

(213) Saint Augustine Letters, Vol.4, pp.85-90;Burns, Agustine's Role, p.70;Wace, Christian Biography, p.1311;Mckenna, Pelagius, p.62.

(214) Saint Augustine Letters, Vol.4, pp.91-92; Hefele, Councils of the Chruch,Vol.2, p.455;Mckenna, Pelagius, p.62.

(215) Augustine, The Grae of Christ, P.437;Saint Augustine Letters, pp.94-108;Wace, Christian Biography, p.1311.

(216)Saint Augustine Letters, , pp.121-127,132,136; Rees., Pelagius, p.2; Burns, Augustine's role, p.71; Mckenna,Pelagius, p.62; Chadwick, The Church in Ancient socity, p.453; Hefele, councils of the Church, Vol.2, p.456.

للأطفال والوعد بملكوت السماوات لبعض الناس خارج نطاق خلاص المسيح. ويستمر فى الحديث عن النعمة الإلهية وغيرها من العقائد لتبرير وجهة نظره فيما تم إدانته . غير أن البابا أنوسنت توفى فى مارس ٤١٧ قبل أن تصله الرسالة وآلت بعد ذلك إلى البابا زوسيموس Zosimus الذى خلفه على الكرسى البابوى [٢١٧]. أما كالستيوس فقد توجه إلى روما ليبرأ نفسه من التهم والشكوك التى أدت إلى إدانته. ووضع أمام البابا زوسيموس اعترافا بعقيدة إيمانه، وعقد زوسيموس مجمعا فى كنيسة القديس كليمنت وسأل كالستيوس عما إذا كان قد أدان جميع الأخطاء المنسوبة اليه، أجاب كالستيوس أنه يدين كل ما يدينه أنوسنت ، وأنه على استعداد لإدانه كل من يبدو للكرسى الرسولى أنه هرطقة [٢١٨] لم يتمكن زوسيموس من الإعلان عن أية إدانة محددة ضد كالستيوس ولكنه أصدر قراراً بالحرمان ضد الأسقفين هيروس ولعازر اللذين لم يمثلا أمام المجلس لإثبات التهم التى قدماها ضد البيلاجيين [٢١٩] ثم كتب إلى اوريليوس أسقف قرطاج والأساقفة الأفارقة يوجه إليهم اللوم على إدانتهم السابقة لكالستيوس ، ورفض البت في موضوع الشكوى حتى يظهر مقدموا الشكوى أمامه لسماعها[٢٢٠] . وفى غضون ذلك تقلى البابا زوسيموس رسالة من برايليوس Praylius أسقف القدس يتحدث فيها بشكل إيجابى ومرفق بها رسالة من بيلاجيوس تتضمن اعترافا منه بقانون إيمانه وقرأ زوسيموس الخطاب والإعتراف بالعقيدة فى اجتماع عام لرجال الدين [٢٢١] وأذهلت اعترافات بيلاجيوس بالإيمان رجال الدين الرومانى والأساقفة المرافقين، واستنكروا كيف يمكن إتهام مثل هذا الرجل بالهرطقة [٢٢٢]. وأعلنوا أن البيلاجيين كاثوليك تماما وأنهم رجال أصحاب إيمان لا يرقى إليه الشك [٢٢٣] . وكتب زوسيموس من جديد إلى اوريليوس أسقف قرطاج والأساقفة الأفارقة يعنفهم بشدة على استعدادهم لإدانه الرجال دون اعطائهم الفرصة للدفاع عن أنفسهم ، مستنكرا بشدة شخصيتى هيروس ولعازر لأنهم شهود غير جديرين بالثقة. وأعلن بامتنان أن بيلاجيوس وأتباعه لم يكونوا أبدا بعيدين عن الحقيقة الكاثوليكية [٢٢٤].

لم يكن الأساقفة الأفارقة على استعداد لقبول الحكم لصالح الآراء التى ينظروا إليها على أنها معادية للإيمان ومدمرة للحياة الروحية الحقيقية ، فاجتمعوا فى قرطاج ووجهوا رسالة طويلة إلى زوسيموس دافعوا فيها عن أنفسهم ، وقدموا المبررات التى أدت إلى إدانة البيلاجية التى أعلنها البابا انوسنت، وناشدوا زوسيموس

(217) Augustine, theGrace of Christ, p.420.
(218) Augustine, the Grace of christ, PP.436,437.
(219) Wace, Christian Biography, p.1312; Hefele, Coucils of the church, Vol.2, p.457, Burns, Augustine's Role, p.72.
(220) Wace, Christian Biography, p.1312.

(221) Wace, Christian Biography, p.1312.
(222) Burns, Augustine's role, p.71; Beck,The Pelagian Controversy, p.686.
(223) Wace, Christian Biography, p.1312.
(224) Hefele, Councils of the Church, Vol.2, p.457;Wace Christian Biograpy, p.1313; Burns Augustine Role, p.72.

على إعادة النظر فى مذاهب كالستيوس [٢٢٥]. ورد زوسيموس فى رسالة بتاريخ ٢١ مارس ٤١٨ بالغ فيها عن أهمية منصبه الأسقفى كأعلى سلطة استئناف دينية . وأنه لم يتخذ أية خطوات أخرى . ملمحا إلى احتمال إعادة النظر فى القضية[٢٢٦] وصلت الرسالة فى نهاية ابريل ٤١٨، وفى اليوم الأول من مايو افتتحوا مجمعا عاما للكنيسة الإفريقية ، عقد فى كنيسة فاوستوس Faustus فى قرطاج حضره ٤١٢ أو ٤٢٤ أسقفا برئاسة اوريللوس أسقف قرطاج.وكانوا غير راغبين فى انتظار قرار لاهوتى جديد من الكرسى الرومانى. وتم صياغة تسعة قوانيين كنيسة تحرم مبادئ العقائد البيلاجية[٢٢٧] كثير منها تم إدانته من قبل فى المجالس السابقة. وتم النطق بالإدانة أو الحرمان على العقيدة القائلة بأن الأطفال لايرثون خطيئة آدم التى تحتاج إلى الكفارة فى المعمودية ، وأن هناك مكانا وسطيا للسعادة فى ملكوت السماوات للأطفال الذين يموتون غير معمدين [٢٢٨] وتم الإعتراض بشدة على الآراء القائلة بأن نعمة الله التى يتبرر بها الإنسان من خلال يسوع المسيح لا تنفع إلا لمغفرة ما تم ارتكابه من الخطايا ولكنها لاتفيد فى تجنب الخطيئة فى المستقبل [٢٢٩] . وكذلك الحرمان ضد من يقول أن آدم قد خلق فانيا، وسواء أخطأ أم لم يخطئ لأخترمه الموت، ليس بسب ارتكابه الخطيئة ولكن من خلال ضرورة الطبيعة. [٢٣٠] تم تقديم الاستئناف هذه المرة إلى السلطة المدنية وأصدر الإمبراطوران هونوريوس وثيودوسيوس الثانى مرسوما بطرد بيلاجيوس وكالستيوس من روما ، كما تم نفى جميع أتباعهم ومصادرة ممتلكاتهم [٢٣١] وقد تضمن البيان الإمبراطورى أن بيلاجيوس وكالستيوس يعلمان بأن الإنسان قد خلق فانيا، مما يجعل الله مسئولا عن مصيبة الموت ، كما يقولون أن خطأ آدم لم يضر إلا بنفسه ، كما أنهم مذنبون بارتكاب تعاليم هرطوقية آخرى مرهقة للغاية [٢٣٢] وتم إرسال خطاب إمبراطورى لإبلاغ هذه القرارات إلى الأساقفة الأفارقة [٢٣٣].

استبد القلق بالبابا زوسيموس من قوة الرأى الكاثوليكى المدعوم من الدولة ، وقرر فتح الموضوع للتحقيق من جديد [٢٣٤] وتم استدعاء كالستيوس للتحقيق الشامل . ورأى كالستيوس أن النتيجة لن تكون فى صالحه ، وقرر الإنسحاب

([225]) Schaff, The Seven Ecumenical , p.347;Wace, Christian Biography, p.1313.

([226])Hefele, Councils of the Church, Vol.2, p.457

([227])Wace, Christian Biography, P.1313; Hefele, Coucils of the church, Vol.2, P.458,Mckeena, Pelagius, p.63; Burns, Augustine's Role, p.74.

([228]) Hefele, Councils of the Church, Vol.2,PP.458,459;Wace Christian Biograpy, p.1313; Mckenna, Pelagius, p.63.

([229])Wace, Christian Biography, p.1313; Mckenna, Pelagius, p.63; Hefele, Coucils of the church, Vol.2, p458.

([230])Hefele, Councils of the Church, Vol.2, p.458, Mckenna, Pelagius, p.63.

([231])Saint Augustine Letters, Vol.4,P.403, Rees, Pelagius, p.3; Evans, Neither A Pelagian, p.237; Chadwich, The Churchin Ancient Society, p.457; J.Bentivegna," Julian of Eclanum" NCE,Vol.8, p.48; Beck, The Pelagian Controversy, p.686.

([232])Burns Augustine's Role, p.75.

([233]) Saint Augustine Letters, p.403,Wace, Christian Biography, p.1313.

([234])Wace, Christian Biography, P.1313; Chadwick, The Church in Ancient Society, p.457.

من روما .وعلى أثر ذلك أصدر زوسميوس مرسوما عاما Tractoria يؤكد على القرارات التى أتخذتها كنيسة شمال أفريقيا وأعلن بأن تعاليم بيلاجيوس وكالستيوس تتعارض مع الإيمان الكاثوليكى [٢٣٥].

استمرت السلطة المدنية فى دعم موقف الكنيسة فى مقاومتها للبيلاجية ، وفى أول يونيو سنة ٤١٩ صدر مرسوم إمبراطورى بإعادة التأكيد على القرارات التى سبق اتخاذها ضد البيلاجية، وتم تمديد الحظر المفروض على المتعاطفين مع البيلاجيين ليشمل الامبراطورية كلها [٢٣٦].

ويبدو أن بيلاجيوس حاول جاهداً فى تبرئة نفسه من تهمة الهرطقة فادعى بأن الكتب التى تم الاستناد إليها فى الاتهامات إنماهى كتب تمت سرقتها قبل أن يقوم بمراجعتها وتصحيحها [٢٣٧]. لكن المحاولة الجادة لتبرئته قام بها بعض رعاته من الارستقراطيين ، حيث كانت أسرة ميلانيا الكبيرة تربطها علاقة طيبة بكل من بيلاجيوس وأوغسطين . وفى أثناء عودة الأسرة من شمال أفريقيا سنة ٤١٥ قامت بزيارة مصر ومنها إلى فلسطين التى أقامت فيها حتى سنة ٤١٧. ويبدو أن الأسرة اقنعت بيلاجيوس بالعدول عن بعض آرائه أو أنه هو الذى طلب التدخل بينه وبين أوغسطين ، وقام بيلاجيوس بإدانه كل ما قيل ضده وقال فى حضور ميلانيا الصغيرة وزوجها بنيان وأمها البينا بأنه ينزل اللعنة على أى أحد يفكر أو يقول أن نعمة الله التى جاء بها المسيح إلى هذا العالم ليخلص الخاطئين غير ضرورية . وكتب عقائده ورأيه فى معمودية الأطفال وتم إرسال ذلك إلى أوغسطين ، الذى وجد أن بيلاجيوس لازال يراوغ وقام بالرد على رسالتهم ومعها كتابه الذى فند فيه هذه الأعمال [٢٣٨].

ضعف موقف البيلاجيين وقل نشاطهم فيما عدا جوليان الإكلانومى Julian of Eclanum الذى شن حربا شرسة ضد أعداء البيلاجية ، وكان يستشهد بالقول بأن حرية الإرادة هى التى يتحرر بها الإنسان من الله ، ولكن مناقشاته الأساسية كانت حول الخطيئة الأصلية [٢٣٩] وشدد هجومه على أوغسطين متهما إياه بأن كتاباته بها نزعة مانوية ، مما يعنى أنه لم يتخل أبدا عن مانويته المبكرة [٢٤٠] . وقام أوغسطين بتفنيد أعمال جوليان فى أربعة أعمال رئيسية ، واستمر فى كتاباته ضد البيلاجية وجوليان حتى وفاته سنة ٤٣٠[٢٤١] .

ويبدو أنه لم يكن هناك أى تنسيق أو اتصال بين الأقطاب الثلاثة للبلاجية ، وقد انتقد بيلاجيوس أدعاءات جوليان الذى كان يتفاخر

([235])Wace, Christian Biography, p.1313; Mackenna Pelagius, p.63; Rees, Pelagius, p.3.
([236])Saint Augustine Letters, pp.403,404; Rees, Pelagius, p.13; Burns, Augustine's Role, p.74.
([237]) Augustine, The Grace of Christ, p.403.
([238])Augustine, The Grace of Christ, p.403.
([239]) Mckenna, Pelagius, p.62.
([240]) Squires, The Pelagians Controversy, p.238; Evans, Neither A Pelagian, p.233; Culine," Pelagius" DMA,Vol.9, p.486.
([241])Mckenna, Pelagius, p.62.

بأنه المدافع عن الحقيقة المهجورة ، لأنه بذلك وضع نفسه فوق بيلاجيوس وكالستيوس [٢٤٢] .

يكتنف الغموض التاريخ الشخصى لبيلاجيوس بعد ادانة آرائه من قبل الدولة والكنيسة ، وسرعان ما اختفى من الحياة العامة ، حيث يذكر أنه طرد من مدينة القدس إلى مكان غير معلوم ، ومن ثم لا يمكن تحديد مكان أو تاريخ وفاته ، وان كان البعض يرى انه قد توفى فى سنة ٤١٧ أو ٤١٨ فى احدى الأماكن بفلسطين [٢٤٣]. أما كالستيوس فقد حاول التراضى مع الكنيسة اعتمادا على مساعدة البطريرك نسطور للتوسط عند الإمبراطور ثيودسيوس الثانى ، لكن الإمبراطور أمر بطرد كالستيوس من القسطنطينية .[٢٤٤] بينما كان الشغل الشاغل لجوليان هو أعادة عرض قضية البيلاجية والنظر فيها أمام مجمع عام . وأخيرا تم انعقاد المجمع العام فى افيسوس سنة ٤٣١ . وقد أعاد المجلس إدانه البيلاجية وصادق على عزل البيلاجيين ، ومن ثم أعطى هذا المجلس الضربة المميته للبلاجية بعد أن توحدت الكنائس الشرقية والغربية فى إدانتها، ولم يعد لها ظهور كحركة منظمة [٢٤٥].

الخاتمة:

يتضح من هذة الدراسة ان الحياة الفكرية في روما في الربع الاول من القرن الخامس الميلادي كانت على درجة كبيرة من النشاط و الازدهار وذلك بفضل مجموعة متميزة غير مسبوقة من المفكرين مثل امبروز وجيروم واوغاسطين وبيلاجيوس وروفينوس و غيرهم ممن اثروا الحياة الفكرية وادى الى تفاوت المواقف و الاراء مما اوجد قدرا من الاختلاف وصل في احيان كثيرة الى حد العداء. و لكن اهم هذة الخلافات كانت بين بيلاجيوس واساقفة ولاية افريقيا بزعامة اوغاسطين الذي يرجع اليه الفضل في التعرف على النشاط الفكري لبيلاجيوس ومعتقداته، لانه تقريبا الكاتب الوحيد الذي احتفظ بتفاصيل اراء بيلاجيوس في مؤلفاته.

ان التراث الفكري لبيلاجيوس لا يرقى لان يكون مذهبا دينيا فانه لم يتعرض لمسائل الالوهية او الوجود و الخلق و انما تطرق الى تفسير بعض الامور الدينية بطريقة مخالفة. وكانت ارائه في تيار معاكس لاراء اوغسطين خاصة فيما يتعلق بالنعمة الالهية والارادة الحرة.

الجدير بالذكر ان بيلاجيوس قد اختار اتباعه وموريديه من الصفوة الفكرية للارستقراطية الرومانية سواء من العلمانيين او رجال الدين ولذلك كان اتباعه قليلي العدد ولم تتكون للمذهب اذا جاز التعبير قاعدة شعبية للدفاع عنه. ولذلك فقد انتهت المشكلة البيلاجية بعد ان حرمتها الكنيسة وادانتها السلطات الامبراطورية، ولم تظهر مقاومة لذلك الا من جانب بعض الرهبان الذين تم نفيهم. و في نفس الوقت ظهرت حركة تم وصفها بالنصف بيلاجية قادها الراهب حنا

(242) Wiggers,Augustinism, p.74; chadwich,The Church in Ancient society, p.465.
(243)Wigger,Augustinism, p.46.
(244)Wigger,Augustinism, p.47.
(245) Schaff, The Seven Ecumenical Councils, pp.346,718-720; Mckenna, Pelagius, p.63.

كسيان John Cassian الذي لم يكن مؤمنا بافكار بيلاجيوس ولكنه كان رافضا لتطرف اوغسطين. و قد اختفت هذة الحركة بعد ادانتها في مجمع اورانج الثاني سنة ٥٢٩م.

قائمة المختصرات

AJES	The Amercan Journal of Economics Sociology.
ANP	Answer to the Pelagian,trans,Teske R.,edit,Rotelle J. (New York).
CAH	The Cambridge Ancient History, Vol,13,edit, Cameron A.,Garnsey P.(Cambridge,2008).
CTLA	A Companion to late Antiquity, edited by Rousseau(Black will, 2009).
DMA	Dictionary of the Middle Ages Vol.9,edited by Hermathena.
HER	Hermathena.
HIST	Historia : Zeitschrift fur Alte Geschichte.
JRS	The Journal of the roman Studies.
JTS	The Journal of theological Studies.
NCENC	New Cathlic Encyclopedia, Second Edition.
PHS	Philippine Studies.
RPLA	The Rhetoric Power in late Antiquity, Religion and Political in Byzantium,Europe and the Early Islamic World,edited by, Franks S, Digeser E,Stephens J,(London,2010).
RTAM	Recherches de theologie Ancienne et Medievale.
TAPT	Three Anti Pelagian Treatises of S.Augustine tran.Woods F. and Johnston J.,(London, 1887).
VCH	Viglia Christianae.

قائمة المصادر والمراجع

Augustine	"The Account of the Proceedings Against Pelagius" TAPT, pp.167-242.
	" The Deeds of Pelagius" ANP.318-381.
	" The Grace of Christ and Original Sin",ANP,pp.384-463.
	" Nature and Grace",ANP,PP.204-275.
	" The Punishment and Forgiveness of Sins and the Baptism of Little Ones" ANP,pp.18-137.
	Saint Augustine Letters, Vol.4,tran, Parsons w,(New York,1955).
Barnard L.,	" Pelagius and Early Syriac Christianity " RTAM,Vol35,(Juillet-Decembre,1968),pp.193-196.
Beck J.,	" The Pelagian Controversy : An Economic Analysis" ,AJES,Vol.66,No.4 (Oct.2007),pp.681-696.
Bentivegna J.,	" Julian of Eclanum" NCENC,Vol.8,p.48.
Blunt J.	Editor, Dictionary of Sects, Heresies, Ecclesiastical Parts And Schools of Religious Thought, (Cambridge,1814).
Brown p.,	" Aspects of the Chrisianization of the Roman Aristocracy" JRS, Vol.51, Parts 1 and 2 (1961)pp.1-11.
	" The Patrons of Pelagius : The Roman Aristocracy Between East and West" JTS,Vol.21,No.1 (April,1970),pp.56-72.
	Pelagius And His Supporters : Aims and Environment " JTS,Vol.19, No.1,(April 1962) pp.93-114.
Bunson M.,	Encyclopedia of the Roman Empire, (USA ,2002).
Burns J.,	" Augustine Rol in the

of the Church from the Original Documents, Vol.2(Edinburgh,1896).

Hillgarth J., " Priscillianism" NCENC,Vol.11,PP.720-722.

Hoyt R,and Chodrows., Europe in the Middle Ages,(USA,1976).

Koopmans J., " Augustine's First Contact with Pelagius and the Dating of the Condemnation of Caelestius at Carthage",VCH,Vol.8, No.3, (Jul..,1953), pp.149-153.

Liebesehuetz W., " Did the Pelagian Movement Have Social Aims?" , Hist Bd-12,H-2, (Apr.,1963),pp.227-241.

Lim R., " Christianization, Seccularization and the Transformation of Public Life", CTLA,PP.497-511.

Marcone A., " Late Roman Social Relations," CAH,Vol.13,pp.338-379.

Mckenna S., " Pelagius and Pelagianism" NCENC,Vol.11,PP.60-63.

Murphy F., " St. Jerome" NCENC,Vol.7,PP. 757-760.

O'Donnell J., Augustine, A New Biography, (harper Collinse –Books).

Ramsey B., Ambrose, (New York,2002).

Rebeich S., Jeromem (London,2002).

Rees B., Pelagius : Life and Letters (Wood bridge, 1991).

Schaff P., Ambrose : Selected Works and Letters, (Grand Rapids,2004).

The Seven Ecumenical Councils of Undivided Church.(Edinburgh).

Simonetti M., Rufinus of Aquileia, NCENC,Vol.12,pp404-406.

Simpson W., The Letters of St. Augustine,(London,1919).

Squires S., The Pelagians Controversy.An Introduction to he Enemies of Grace and the Conspiracy of Lost Souls,

Imperial Action Against Pelagius" JTS,Vol.30, No.1(April,1979),pp.67-83.

Bury J., " The Origin of Pelagius" ,HER,Vol.13,No.30(1904), pp.26-35.

Cain A., " The Letters of Jerome,(Oxford, 2009).

Chadwick H., Augustine of Hippo, A Life, (Oxford 2009).

The Church in Ancient Society from Galilee to Gregory the Great, (Oxford 2001).

"Orthodoxy and Heresy from the Death of Constantine to the Eve of the First Council of Ephesus",CAH,Vol.13,pp.561,600.

Colish M., Medieval Foundations of the Western Intellectual Tradition,400-1400(London, 1998).

Conningham M., " Paulinus of Nola" NCENC,Vol,11, pp38-39.

Crouzel H., " Origen and Origenism" NCENE,Vol.10,pp.653-661.

Culine B., " Pelagius, (Ca 360-418),DMA,Vol.9,pp.486-487.

Curran J., Pagan City and Christian Capital, Rome in the Fourth Centuray (Oxford,2000).

Evans G., "Neither A Pelagian Nor A Manichee"VCH,Vol.35,No.3,(Sep…1981) pp232-244.

Frankes R., "Butheric and Charioteer" RPLA,PP.47-62.

Gaddis M., " The Political Church: Relgion and the State",CTLA,PP.512-524.

Grant M., From Rome to Byzantium, The fifth Century AD,(London,1998).

Haight R., " Notes On the Pelagian Controversy" PHS,Vol.22,No.1/2(First and Second Gurters, 1974),pp.26-48.

Heather P., " Senators andSenates", CAH,Vol.13,pp.184-210.

Hefele C., A History of the Councils

(Pickwich Publication, 2019).

Testa R., The Antique Bishop : Image and Reality, CTLA,PP.525-538

Thomsett M., Heresy in the Roman Catholic Church A History,(North Caroline, 2011).

Wace H., A Dictionary of Christian Biography and Literature to the end of the Sixth Century A.D., with an Account of the Principal Sects and Here sies, (USA,1999).

Wall W., The History of Infant Baptism,Vol.1,(London,1819).

Wiggers G., An Historical Presentation of Augustinism and Pelagianism From the Original Sources, (New York,1840).

W.Gliebeschuetz J., Ambrose of Milan, (Liverpool,2010).

Williams D., Ambrose of Milan and the End of Arian Nicene Conflicts, (Oxford,2002).

Williams M., The Monk and the Book, Jerome and the Making of Christian Scholarship, (London,2006).

Williams S., And Friel G., Theodosius, the Empire at Bay.(Taylor and Francise Library).

Wolf H., A Strange Consensus : Daemonological Dissourse in Origen, porphyry and lamblchus, RPLA,PP.219-239.

قائمة المصادر والمراجع العربية

- القـــديس أوغســـطينوس:اعترافات القـــديس أوغسطينوس، ترجمة الخورى يوحنا الحلو (بيروت،١٩٩١)
- القمص تادروس يعقوب :ملطى نظرة شاملة لعلم الباترولوجى فى الستة قرون الأولى، (الاسكندرية ،٢٠٠٨).
- جاريث ب.ماتيوز:أوغسطين ، ترجمة أيمن فؤاد زهوى ، (القاهرة ، ٢٠١٣).
- ج.ويلتر:الهرطقة فى المسيحية ، تاريخ البدع الدينية المسيحية ، تعريب جمال سالم (بيروت ، ٢٠٠٧).
- رأفت عبدالحميد: الدولة والكنيسة، ج٤ (القاهرة ٢٠٠١).
- على زيغور:أوغسطين ،(بيروت ١٩٣٠).